HARLEQUIN®

روايات احلام

كذبة بيضاء

ديانا هاملتون

WWW.ELROMANSIA.COM
مـــزمـــوريـــة

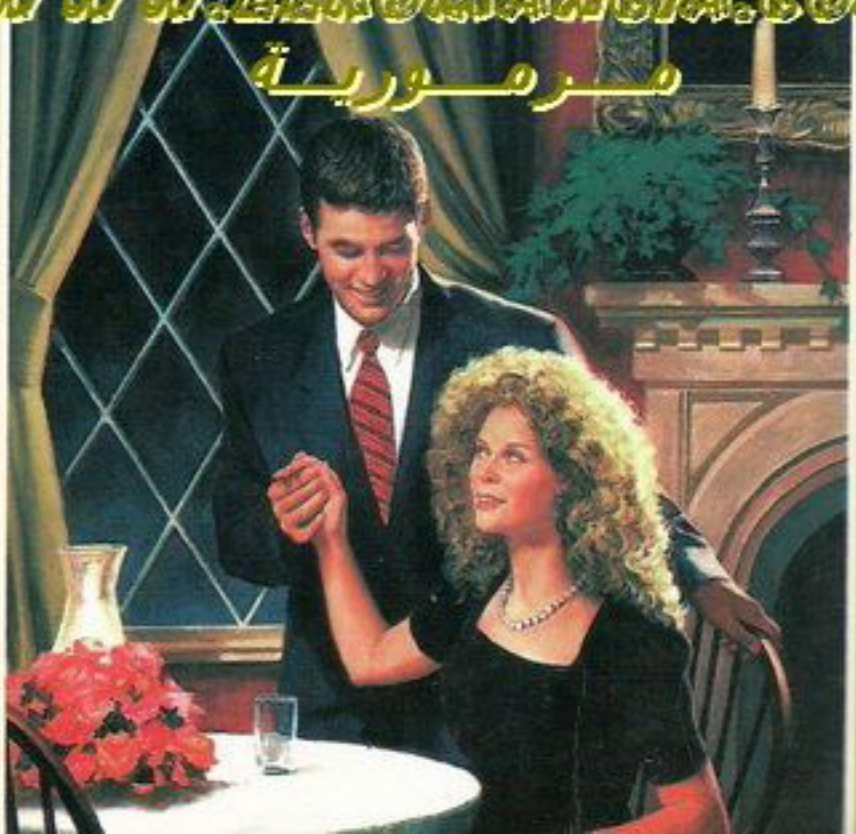

كذبة بيضاء

كانت أليسا برانان عارضة أزياء جميلة وموهوبة، وشديدة الحذر من الرجال... حاول رجال كثيرون دعوتها إلى الخروج، لكنها قلما اكترثت للأمر خشية الوقوع في الفخ.. فكيف تستطيع الآن العثور على زوج بسرعة؟

الحل بسيط... ستشتري زوجاً لمدة قصيرة وتتركه فيما بعد!! ومن أفضل من جيثرو كول منظف النوافذ المُعدم والبسيط لكي يقبل بهذا العرض؟

... ولكن لو كنت تعلمين يا أليسا أن جيثرو كول مليونير متنكر وأنه رجل أعمال لا يرحم، فهل كنتِ قدّمتِ نفسكِ له على طبق من ذهب؟

ديانا هاملتون

إنها رومنسية فعلاً، فقد وقعت في حب زوجها من النظرة الأولى. وهما يقيمان في منزلهما الجميل الأشبه بقصور الخرافات، حيث يسهران على تربية أولادهما الثلاثة وتشاركهما منزلهما الآن ثماني قطط أنقذاها من الشوارع وكلب صغير. لكن برغم هذا الصخب في حياتها اليومية لا يفارق الكتاب يد ديانا، فهي إما تقرأ أو تؤلف واحداً، هذا ما تفعله منذ أن تعلمت القراءة والكتابة. وهذا أيضاً ما تنوي أن تستمرّ فيه لوقت طويل بعد.

١ ـ منظف النوافذ

ثبت «جيثرو كول» السلم الألمنيوم على جانب «الفان» ووضع الدلو وأدوات تنظيف النوافذ في الجزء الخلفي من سيارته، ثم مسح العرق عن جبينه بساعده الذي لوّحته الشمس، مبعداً خصلة متمردة من شعره الأسود تدلت على عينيه.

تنهد تنهيدة ارتياح، فقد انتهى يوم آخر من العمل الشاق، أمضاه متنقلاً على السلالم، في شمس شهر تموز الحارة منهمكاً في تنظيف النوافذ. فبعد جهد جهيد، اكتسب خبرة في العمل ولم تعد الشكاوى تنهال عليه لإغفاله عن بعض البقع اللزجة أو الزوايا المتسخة.

وكثيراً ما تعرض لإغراءات ربات المنازل الضجرات، لكنه حاول تجاهلها كي لا يخسر التعامل معهن، إن هو جرحهن برفضه. وفي تلك اللحظة تناهى إلى مسمعه صفير إعجاب!

دس يده في جيبه ليخرج مفاتيح السيارة، وهو ينظر بسخرية إلى مجموعة من الفتيات المتسكعات يقتربن منه. فتيات مراهقات نفشن شعورهن وارتدين بنطلونات ضيقة من الجلد الزائف، وقمصاناً مكشوفة فاضحة لم تترك للمخيّلة شيئاً، فقالت له إحداهنّ: «يمكنك أن تسترق النظر من نافذتي متى شئت، يا جميل».

ضحكت الأخريات وأفواههن مليئة باللبان وهن يتابعن طريقهن

إلى الشارع العام بحثاً عما تخفيه المدينة من مباهج في الليل

كشف له عمله في تنظيف النوافذ ناحية جديدة لم يكن يراها من قبل في ذلك العالم المتطور المغلف بالتهذيب السطحي . عالم المال والأعمال. جلس خلف عجلة القيادة وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة وبرقت عيناه الكهرمانيتان ببريق غريب

كان يتنقل في هذا «الڤان» القديم بينما سيارته «الجاغوار» يعلوها الغبار في كاراج مقفل، في الناحية الأخرى من المدينة، ويرتدي بنطلون جينز بالياً وقميصاً يحاكيه رثاثة. هذه الملابس التي كان ينبغي إلقاؤها في القمامة منذ أعاد ملابسه غير الرسمية إلى منزله الكائن في (١٨٢ البرت تيراس).

وأدرك فجأة أنه أقام هناك أكثر مما ينبغي إذ اعتاد أن يمضي ليلة واحدة يطمئنّ فيها عن أخبار مربيته السابقة.

لكن الوقت سرقه هذه المرة، وتحول إلى غسل النوافذ بدلاً من إدارة أعماله ومشاريعه الكبيرة المنتشرة في أنحاء العالم، من إحدى غرف الإدارة، أو قضاء إجازة في كوخه المنعزل.

ولكن عندما مر ليسلم على مربيته «بريغس» كما اعتاد أن يفعل كل أحد عشر شهراً تقريباً، وهو في طريقه إلى منزله الريفي، إذا بجدول مواعيده يطل برأسه.

وبدلاً من أن تتوتر أعصابه، راح يستمتع بكل دقيقة من وقته! وكانت نفسه تحدثه بأن سروره سيكون أكبر، إن حصل على ما يريد، أو أوشك أن يفعل.

فكلما أتم صفقة غير عادية، كان يشعر بإثارة غريبة، ولم يحدث قط، خلال سنواته الأربع والثلاثين أن تعلق قلبه بامرأة.

فالمرأة برأيه سهلة المنال.

ما عدا هذه . «أليسا برانان».

ومع أنه لم يحرز تقدماً كبيراً في ملاحقته لها، فهو واثق من نجاحه في نهاية المطاف لأنه يحصل دوماً على مبتغاه. ولو أنه سمح للفشل بأن يترك بصماته لما تمكن من إنشاء إمبراطورية أعمال ضخمة من الصفر كما أن ملاحقته لتلك المرأة تبعث فيه إثارة نادرة، وهو الذي تلاحقه النساء منذ بلغ العشرين وبدأ يجمع المليون الثاني.

قاد سيارته وهو يفكر متأملاً. لقد رأى أليسا برانان للمرة الأولى منذ عام، بينما كانت تعرض مجموعة الأزياء الأولى لمصمم إيطالي موهوب، فافتتن جيثرو بها أيما افتتان، وهو الذي يقدر جمال النساء ولو لم تكن برفقته صديقة له، لقام بشيء في هذا السبيل. ولكن قانونه هو الوفاء لأي علاقة مع امرأة ما دامت هذه العلاقة قائمة. وإن لم تخنه ذاكرته، ففي تلك الليلة بالذات قطع علاقته بتلك المرأة، بعد أن أهداها قطعة من الحليّ الثمينة كما اعتاد أن يفعل في ظرف مماثل، ومن دون جدال أو اتهامات.

وبعد أن استعلم عنها بطريقة سرية علم أن أليسا برانان، عارضة الأزياء المثيرة التي بدأ المصممون، فجأة، يتهافتون عليها، معروفة بالانطواء على نفسها وحب العزلة، فهي لا تخرج مع أحد أبداً، كما أنها نادراً ما تظهر في المناسبات الاجتماعية أو الخيرية.

فقطع على نفسه وعداً بأن يجعلها تغير رأيها بالنسبة إلى الخروج مع الرجال، إلا أن انهماكه بالأعمال واضطراره إلى السفر بعيداً والغياب طويلاً، حالا دون قيامه بشيء في هذا الصدد.

في غمرة انشغاله ببناء إمبراطوريته، كان لينسى أي امرأة أخرى

لم يرها سوى مرة واحدة. ولكن ذلك القوام الممشوق، وتلك الملامح الرائعة، لم تفارق خياله. وفي الأشهر الإثني عشر المنصرمة لم يقم أي علاقة مع امرأة أخرى، رغم تهافت الكثيرات عليه، فقد أقنع نفسه بأنه منشغل جداً بالسفر من مكان إلى آخر، وبأنه لم يعد شغوفاً بالنساء مع بلوغه الرابعة والثلاثين من العمر.

ولكن عندما رآها مجدداً، في شوارع مدينته القديمة الطراز، أدرك أن شغفه بالنساء لم يتلاش حقاً.

اجتاز ملتقى طرق مزدحم، واتجه نحو السوق، وتلك المخلوقة الجميلة المراوغة التي فتنته لا تغيب عن ذهنه.

عند رؤيته لها تحولت زيارته لمربيته وزوجها، إلى شيء مختلف تماماً، فقد كان هذا مسألة حظ أكثر منها مجرد مصادفة.

لكنه ما لبث أن أبعد تلك الفكرة عن رأسه.. الحظ؟ إنه لا يؤمن به. فهو سيد مصيره، ويمسك بزمام الأمور في حياته.

فلماذا لا تكترث له أليسا إذن؟

عقد حاجبيه الأسودين عابساً وهو يركن سيارته أمام «١٨٢٥ ألبرت تيراس»، ويترجّل منها صافقاً بابها خلفه بقوة. اجتاز الرصيف وقد بدا الاكتئاب على وجهه وهو يرى مربيته «بريغس» خلف السياج الترابي تسقي النباتات التي كانت تضفي إشراقاً على الحديقة الأمامية الضيقة.

قالت له مبتسمة: «أبشّرك، يا سيدي الصغير. لقد استعاد هاري قدرته على المشي، وهو مستعد للعودة إلى العمل».

رفعت بصرها إلى قامته الطويلة المهيمنة على قوامها القصير والممتلىء. سيبقى دوماً في نظرها سيدها الصغير ولو أصبح في

النسعين.

وأضافت قائلة: «ولا يمكننا أن نقدم إليك ما تستحقه من الشكر لأنك عملت مكانه حتى شفي، إذ خشي هاري أن يجد زبائنه بديلاً عنه خاصة وأنه لا يزال مبتدئاً في العمل».

فمنذ حوالى ستة أشهر، استغنى المصنع المحلي عن خدماته بحجة أنه فائض عن الحاجة، ولم يشأ هاري أن يعيش أقل من مستواه بينما لا يزال قادراً على العمل. فكرامته لا تسمح له بذلك.

ـ سرني جداً القيام بذلك، وأنت تعلمين هذا.

وأخذ ينظر إليها وهي تسقي النباتات. منذ أسبوع لم يكن هذا الكلام صحيحاً.. صحيح أنه مستعد للقيام بأي شيء من أجل مربيته بريغس، إلا أن العمل أسبوعاً بكامله على تنظيف النوافذ مضنٍ جداً، لكنه فعل ما رآه واجباً عليه. ويبدو أن المرء يكافأ حسب أعماله، إذ كوفىء هو برؤية أليسا أو «آلي» ـ كما علم أنها تحب أن تُدعى ـ مرة أخرى.

ـ اذهب واغسل يديك ريثما أعدّ الشاي.

ولحق بها إلى المنزل، بينما كانت تتابع:

ـ دخل هاري ليغتسل الآن. يمكنك أن تستحم قبل العشاء. لقد أعددت فطيرة اللحم، المفضلة لديك.

ذهب ليغسل يديه بينما ارتحلت به أفكاره إلى سنوات خلت. ثمة أشياء لا تتغير أبداً، ومنها طعام الطفولة. وابتسم وهو يغسل يديه في الحوض، وقرقعة الأطباق تتناهى إلى مسمعه من المطبخ الصغير.

تزوجت مربيته «هاري فورد» بعدما بلغا الخمسين من العمر، لكنها ستبقى دوماً بالنسبة إليه هو، مربيته بريغس، ومحور طفولته.

وحدها بريغس منحته حنان الأمومة، إذ تغلب حب أمه للحياة على تفانيها في تربيتهما هو وأخته الصغرى «كلو».

نشف يديه ووجهه وعاد إلى المطبخ ورائحة الصابون تفوح منه

ـ اشرب الشاي قبل أن يبرد ثم أخبرني عما تنوي القيام به. فأنا أشعر بالذنب لإفسادي إجازتك، ولا أريد أن أسمعك تقول إنك عائد إلى لندن، أو امستردام أو أي مكان آخر، فأنت تجهد نفسك كثيراً.

أخذ كرسياً وجلس عليه ومد ساقيه الطويلتين، مبتسماً لنبرة صوتها الجادة، ثم تلاشت الابتسامة عن وجهه وقد تغيرت ملامحها بعد أن شعرت بوخزة الألم، فهي متعبة من العمل المنزلي، وتبدو أكبر من سنها.

ما الذي ينوي القيام به؟ فالآن وقد شفي هاري من الإنفلونزا، بات حراً ليتابع حياته، أو ليقضي عطلته في بيته الريفي على الحدود بين «وايلز» و«شروبشاير»، لكنه لم يشأ أن يزعج نفسه بذلك لأن شفاء هاري أعطاه الفرصة أيضاً ليتابع ملاحقته لأليسا، أو «آلي». وأخذ يحملق باكتئاب في فنجانه الفارغ. عليه أيضاً أن يقوم بشيء ما تجاه مربيته بريغس وزوجها. فقد كان يخالها ستصمد إلى الأبد. ولكنه أخطأ الظن، إذ حان الوقت لترتاح في حياتها، وتمضي ما تبقى لها من العمر.

ـ خطر لي أن أقضي يومين معك إن كان هذا يناسبك.

وأخذ يراقبها عن كثب وهي تمد يدها لتتناول فنجانه الفارغ، وتعيد ملأه، ثم تابع كلامه قائلاً: «فأنا أنوي أن أعرض على هاري عملاً».

وكانت هذه أفضل طريقة حتى لا يشعرا وكأنه يقدم لهما إحساناً

* * *

دفعت آلي أجرة التاكسي ثم وقفت تنظر، مذهولة، إلى المبنى الذي تقطن فيه هي، التي تحتقر الكذابين، نطقت لتوّها بأكبر كذبة في تاريخ العالم!

بالرغم من السحب التي كانت تلف لندن، شعرت بالحر الشديد وأخذت قطرات العرق تتصبب فوق شفتها العليا، بينما عظامها ترتجف، ولم تكن تعرف كيف ستتمكن من دخول المبنى لكنها استطاعت ذلك بشكل ما وبينما كان المصعد يرتقي بها إلى شقتها، شعرت بالغثيان وبالتوتر، وهذا ما جعلها عاجزة عن إدخال مفتاحها في القفل من المحاولة الأولى.

هذا جزاؤها لأنها أخبرت المحامي تلك الكذبة السافرة!

دخلت غرفة الجلوس الصغيرة الأنيقة، محدثة نفسها بأن تهدأ. فليس أمامها متسع من الوقت لتحول الكذبة إلى حقيقة. وإن بقيت متوترة فلن يجديها ذلك نفعاً

خلعت حذاءها العالي الكعب، ثم اتجهت إلى غرفة نومها وهي تنزع الدبابيس من شعرها المعقوص الذي كانت تنظمه بشكل كرة عند أسفل رقبتها فيسيغ عليها مظهراً محنكاً.

ثم خلعت الطقم الكلاسيكي الطراز الذي ارتدته لذلك الاجتماع. واستبدلته ببنطلون جينز وقميص مقفل. فشعرت وكأنها استرجعت شخصيتها الحقيقية المختلفة كلياً عن عارضة الأزياء المتوقة، مما ساعدها على تهدئة أعصابها.

نظفت وجهها من المساحيق وهي تحاول النظر إلى الوضع من ناحية حيادية، فتذكرت فضولها وهي توافق محامي عمها الراحل على طلبه للاجتماع بها.

قالت لها أمها: «لعله ترك لك شيئاً في وصيته».

ولم تأتِ على ذكر اسم شقيق زوجها، «فابيان» الذي لم تتفوه به بسبب ما حدث بينهم منذ عدة سنوات. وتابعت تقول: «لعله شعر بالذنب في نهاية عمره».

لكن نبرة صوتها لا تدل على اقتناعها بهذا. فقالت آلي باسمة:

ـ هذا مستحيل. حسب معرفتي به، أظنه ترك لي معولاً لأحفر به قبري.

ولكن، من باب الفضول، قطعت عطلتها الصيفية الطويلة التي خصصتها لملازمة أمها التي تعاني حالة اكتئاب عميقة أقلقتها، ووافقت على الاجتماع بمحامي عمها فابيان مما حتم عليها أن تمضي ليلة في شقتها في لندن، وتتناول عشاء عمل مع وكيلة أعمالها.

وهكذا غادرت بيتها الضيق، القائم في ضواحي مدينة «شروزباري» الذي تقيم فيه أمها لورا مع شقيقتها فران، لتستقل القطار المتجه إلى «أوستن»، وخلال الرحلة كانت تجري في ذهنها عمليات حسابية.

منذ سنة تقريباً، أرادت التخلي عن عمل عرض الأزياء الذي بدا لها أنه لن يؤدي بها إلى شيء. إلا أنها مذاك الحين وهي تجتهد في التوفير حتى جمعت مبلغاً ضخماً يصلح عربوناً لمنزل في الريف تقطن فيه أمها وشقيقتها، ويكون قريباً من المدينة، حتى تتمكن فران من الذهاب يومياً إلى عملها، وحوله حديقة واسعة ترضي شغف أمها

برراعة النباتات شغف تملكها خلال السنوات التي أمضوها في «ستدلي» حيث حوّلت الحديقة المهملة إلى جنة عدن. فحياة المدينة لن تسعد أمها التي تحب الآفاق الفسيحة وغناء الطيور

وبفضل الدخل المرتفع الذي تجنيه، ولأنها لم تتجاوز بعد الثانية والعشرين من عمرها وأمامها سنوات من العمل، يمكنها أن تأخذ قرضاً تعطي أمها حصة كبيرة منه، فهي تكره أن تعمل أمها في تنظيف البيوت لتنفق على نفسها

ربما كان هذا السبب الحقيقي الذي دفعها لأخذ إجازة. ففضلاً عن حاجتها لاستعادة نشاطها وطاقتها بعد عام من العمل الشاق، كان يلزمها بعض الوقت لتقنع أمها بقبول المال، ولم تستطع التطرق إلى الموضوع الليلة الماضية، إلا بعد أن نامت فران.

ـ لا أريد منك أن تنفقي نقودك عليّ. هذا لطف منك، يا حبيبتي، لكنني لا أستطيع أن أقبل ذلك.

واغرورقت عينا أمها بالدموع، التي أصبحت مؤخراً، سهلة الانهمار لكن آلي ألحّت عليها بالقبول قائلة: «لن يذهب المال هدراً. يمكنك استثماره في العقارات. أما بالنسبة إليّ فما حاجتي إلى هذه الأموال كلها؟».

وعلى عكس زميلاتها، لم تكن آلي فتاة اجتماعية تنفق المال على الرحلات أو الإجازات، بل كانت تحتاج إلى المال لتسديد إيجار شقتها الصغيرة وشراء بعض الملابس اللائقة للظهور أمام الناس.

مست وتراً حساساً وهي تقول لها: «امتهنت عرض الأزياء لأكسب المال بسرعة من أجلك. مضت سنوات ظننت فيها أنني لن أجني مبالغ طائلة، ولكن بعد أن حصلت عليها الآن، لا أتوقع منك

هذا العناد! أنا أعرف كم كنت سعيدة في «ستدلي»، ولو تمكنت بعد موت أبي من العودة إليها، لما ترددت لحظة. ليتني أستطيع أن أعيد إليك «ستدلي»، ولكن بإمكاني أن أشتري لك بيتاً ريفياً تغرسين الورود حول بابه إن شئت».

وحالما رأت شفتي أمها ترتجفان، ندمت لذكرها «ستدلي» إذ بقيت لورا وفية لذلك المكان الذي دُفنت فيه أجمل ذكرياتها

بقيت آلي قلقة إزاء تدهور حال أمها يوماً بعد يوم، وحاولت البحث عن الطريقة المناسبة لإقناعها بقبول ما تقدمه لها، وكان أن وصلت إلى مكتب المحامي الذي استقبلها بالترحاب قائلاً «ترك عمك الراحل، فابيان برانان، مزرعته للحكومة، أما قصره المعروف باسم «قصر ستدلي» ومحتوياته فقد تركها لك».

ثم رفع بصره إليها وهو يعيد وضع نظاراته على عينيه. «ولكنه وضع شرطاً واحداً وهو أن تكوني متزوجة عند موته أو خلال شهر بعد موته».

حدقت آلي مذهولة إلى عينيه البنيتين المتهكمتين، وشعرت بالغثيان.

للوهلة الأولى شعرت بالبهجة. أخيراً كفر عمها فابيان عن ذنوبه. قصر ستدلي، المنزل المحبوب الذي أمضت فيه الأعوام الخمسة عشرة الأولى من عمرها، المكان الذي ما انفكت تحنّ إليه أمها، والذي يختزن أجمل ذكرياتها، ذلك المنزل سيصبح ملكها.

وستعيش لورا سعيدة فيه بعد سنوات طويلة من العمل الشاق وستسترجع الذكريات السعيدة وستشعر أخيراً بالرضاء والسكينة وهي تعمل في الحدائق الرائعة المحيطة به.

لكن الشرط الذي وضعه عمها فابيان سرق منها بهجتها، فهو يعلم جيداً أنها لا تريد الزواج ولن تأتمن رجلاً على سعادتها وأمنها.

الشرط الذي وضعه لم يكن سوى تعبير عن حقد ذلك الرجل العجور

وفي تلك اللحظة أدركت مدى الكراهية التي كان يكنها لهم. وأخذت نفساً عميقاً وقد قررت في قرارة نفسها بألاّ تدع فابيان ينتصر عليها. فقالت تكذب مكابرة: «لا أرى في ذلك مشكلة، كنا قد قررنا، أنا وخطيبي، الزواج قبل نهاية السنة، إلا أننا سنقدم الموعد بما يتفق وهذا الشرط».

ونظرت إليه بهدوء واتزان فرأت نظراته تستقر على أصابعها الخالية من خاتم الخطبة، فنطقت بكذبة أخرى بكل هدوء: «إنني لا ألبس خاتمي يومياً، فهو ثمين جداً وأخشى أن أفقده».

ثم نهضت وأضافت قائلة: «هل قلت إن أمامنا شهراً؟».

ـ أو أقل قليلاً في الواقع.

ونهض بدوره وهو ينظر إلى الملف بين يديه ويقول: «مات عمك منذ أسبوع، كما تعلمين. مما يعني أنه لم يتبقّ سوى ثلاثة أسابيع. لقد حاولت أن أثنيه عن وضع ذلك الشرط، فلم أنجح».

فقالت موافقة: «نعم، لقد كان فابيان رجلاً عنيداً».

ثم استدارت لتنصرف، وعند وصولها إلى الشارع، شعرت بالانزعاج لحماقتها، وأدركت أن تلك الكذبة نبعت من إحساس غريزي ناشىء عن حلمها بإعادة «ستدلي» إلى أمها.

ومع أنها كانت تحتفظ بذكريات سعيدة أيضاً عن السنوات التي

عاشت فيها مع أبويها في «ستدلي»، إلا أنه كان ينبغي عليها أن تغادر المكتب في اللحظة التي سمعت فيها ذلك الشرط

لكن أمها ترغب في العودة وإن تمكنت من الحصول على ذلك الميراث الذي تركه عمها مدلّى أمام أنفها، ليعود فيبعده عنها بذلك الشرط الكريه الذي وضعه، فسيكون ذلك رائعاً ولكن كيف؟ كيف تحول ذلك الحلم إلى واقع؟

دخلت المطبخ وأعدت لنفسها كوباً من القهوة الثقيلة السوداء وأخذت ترتشفها مقطبة الجبين.

حاول رجال كثيرون في الماضي، دعوتها إلى الخروج معهم، لكنها قلما اكترثت للأمر خشية الوقوع في ذلك الفخ كما أنها لم تكن تبغي أن تعبث أو حتى أن تقيم علاقة جادة، فما الفائدة إذن؟

لم تكن غافلة عن الجمال الذي ورثته عن أمها، بل تعتبره مجرد ميزة يمكن أن تنفعها، إذ أنه أشبه بالذكاء والموهبة، وعليها أن تكرسه لمصلحتها. وهي الآن تجدّ في العمل لتعيد إلى أمها سعادتها المفقودة

ومن المؤكد أن بإمكانها استغلال هذا الجمال في العثور على زوج

وضعت فنجانها الفارغ من يدها وأخذت تذرع غرفتها الصغيرة محاولة استجماع أفكارها . عليها أن تجد طريقة ما حسناً، ستلبس زياً تنكرياً وتذهب إلى حفلة حيث توقع برجل لا رفيقة معه و .

وتوقفت فجأة عن التفكير، فهي ليست معتوهة تماماً، لتفكر بهذا الشكل؟

لن تجد رجلاً عاقلاً يوافق على الاقتران بها اسمياً فقط حتى

تتمكن من المطالبة بميراثها، على أن يحتفي حالما تحصل على مبتغاها، وعلى أن يرفع قضية طلاق بعد سنتين، ولكن ما الذي سيدفعه للقبول بهذا الزواج؟ وتسمرت في مكانها، وقد اتسعت عيناها عندما جاءها الرد: «سأمنحه المال!».

ستشتري زوجاً لفترة قصيرة!

ستخصص المبلغ الذي وصفته جانباً لتشتري به كوخاً ريفياً لأمها وأختها فران، فإن أصبح «ستدلي» ملكاً لها، فلن تحتاج إليه.

إنها تعرف الرجل الذي سيقبل عرضها هذا. وسيبدو لائقاً بها إن ارتدى ملابس أنيقة، فمظهره يثير خيال معظم النساء. وإن تزوجته، فلن تساور الحيرة الناس، كما أن ذلك المحامي لن يرتاب في شيء.

جل ما عليها التأكد منه هو ما إذا كان جديراً بالثقة، لكنها تعلم بأنه لطيف وحساس ومعدم ومن المؤكد أنه سيستغل هذه الفرصة التي ستكسبه مبلغاً محترماً.

صحيح أنها تعرفت إليه منذ أقل من أسبوع فقط، وصحيح أيضاً أنه أبدى اهتماماً ملحوظاً بها، لكنها تجنبته ببرودة وأدب كما اعتادت أن تفعل دوماً لذا ستضع النقاط على الحروف منذ البداية، حتى لا يسيء فهمها. ولا داعي للقلق أبداً.

سارت نحو الهاتف تلتقط السماعة لتلغي العشاء مع وكيلتها، ثم سارت بحزم نحو غرفة النوم وأخذت تحزم أمتعتها، فمنظف النوافذ جيثرو كول، هو أملها الوحيد.

* * *

٢ ـ المطلوب رقم واحد

قالت المربية بريغس وهي تحمل صينية الشاي إلى غرفة الجلوس: «أفترض أنه بعد أن عض هاري على جرحه وقبل بك شريكاً له، بقيت هنا بسبب تلك الشابة الفائقة الجمال التي جاءت الأسبوع الماضي لتشكرك على مساعدتك أمها على الطريق».

بدا على جيثرو نفاد الصبر. فهو لا يدري ما الذي جعله يبقى هنا، ومن المؤكد أنه لا يريد التحدث في هذا الموضوع.

وراح يسترجع في ذهنه أحداث الأيام الثمانية الماضية. فعند وصوله، كان ينوي القيام بزيارة خاطفة فحسب، ولكن إذا به يجد هاري على فراش الموت، يتأوه ويئن وقد أقعده المرض، كما أن سيارته الڤان تحتاج للتصليح. فكيف له أن يصلحها وهو بحالته هذه، وأن يتسلق السلالم وهو لا يكاد يستطيع الوقوف على قدميه؟

فوجد جيثرو نفسه مضطراً إلى أخذ السيارة إلى كاراج يبعد عدة شوارع عن البيت وأثناء عودته عثر على امرأة أنيقة رشيقة منهارة على الرصيف، علم فيما بعد أنها والدة آلي.

وعندما أفاقت، أخبرته أنه لم يُغمَ عليها من قبل فأوصلها إلى منزلها، وأصرّ على أن يعدّ لها فنجان شاي ويبقى معها حتى تعود أختها من عملها.

كانت المرأة تدعى لورا برانان. ولم يكن قد عرف بعد صلتها بآلي، وعلى الرغم من ضعفها وشحوبها خيّل إليه أنها كانت في صباها آية من الجمال، ولكن الحزن في عينيها أثار قلقه فاستغل فرصة وجوده لوحده مع أختها ليقول لها: «لا أريد أن أبدو متشائماً، لكنني أرجو منك إقناعها بإجراء فحوصات طبية عامة».

ـ سأبذل جهدي، لكنها لا تريد أن تتوقف عن العمل. ولو أنها تعلمت مهنة جيدة، بدلاً من الاعتماد على رجل عديم النفع، لما اضطرت لتنظيف بيوت الناس طوال النهار، والمكاتب حتى منتصف الليل، مرتدية ثياباً بالية.

بدا واضحاً أن الأخت فران تكره الرجال...

ودعها وغادر المنزل نابذاً هذه الحادثة من ذهنه. ولكن، في اليوم التالي وبينما كان واقفاً على السلم الألمنيوم يغسل نوافذ المربية بريغس. إذا بالمرأة التي شغلت ذهنه خلال الأشهر الاثني عشر الماضية تتوقف على مقربة منه لتشكره على مساعدته أمها.

ذهل لرؤيتها مرة أخرى وعجز لسانه عن الكلام. ولكنه ما إن تمالك نفسه. حتى حسم أمره، فهو لن يتركها تفلت منه من جديد، ولن يدع العمل يحول دون ملاحقته لها

وعند المساء، قرر أخذ إجازة من العمل، فارتدى سروالاً قديماً تعلوه قميص بالية اللون، وهي الملابس التي يرتديها عادة في بيته الريفي حين يتفحص الأسيجة أو يساعد البستاني ثم اجتاز تلك المسافة القصيرة التي تبعده عن منزلها حيث تعيش مع أمها، حاملاً معه باقة أزهار لهذه الأخيرة

وأمضى، بعد ذلك، ساعة في الثرثرة وشرب الشاي

فرحة الأم بالأزهار، وعرفان جميلها لأنه ما زال يتذكر بيتها، مثنا ضميره لا سيّما عندما بدا واضحاً أنها تظنه منظف نوافذ يكافح في سبيل لقمة عيشه.

خلال زيارته تلك، اكتشف بعض الأمور. «فأليسا» أو «آلي» كما تفضل أن تُدعى، ستبقى في المنطقة عدة أسابيع. ولم تشأ له أن يعرف نوع مهنتها لأنها أقفلت الموضوع تماماً عندما ابتدأت الأم لورا تتحدث عن الأزياء.

بدا له وكأنها لا تريد منه أن يرى الناحية المتألقة من حياتها كي لا ينظر إليها نظرة رجل لامرأة، ولكنها لا تعلم كم تبدو الآن مثيرة في تنورتها القطنية وبلوزتها المحتشمة. فكلما تحركت، تمايل قماش ثوبها الناعم حول جسمها الرشيق، كاشفاً عن مفاتنه، وعن خطوط ساقيها الطويلتين الرشيقتين. وشعر بغصة أمام أنوثتها الفائقة، إذ لم ير يوماً شيئاً يضاهي جمال مشيتها هذه. والحقيقة أنه لم يستطع أن يسلخ نظراته عن قوامها الرقيق وعينيها الخلابتين الداكنتي الزرقة اللتين تزينهما أهدابها الطويلة، وشفتيها الممتلئتين.

ولكم ازدادت فرحته حين تلقى دعوة إلى العشاء في الليلة التالية. على الرغم من النظرة السريعة العابسة التي رمقت بها آلي أمها، وابتسامتها الضجرة عندما قبل الدعوة، لم يمنعه ما رأى منها القبول، فهو يعشق التحدي.

عاد إلى منزل مربيته وهو يقسم أنه سيمحو ذلك الضجر عن شفتيها.

سألته المربية وهي تناوله القهوة السوداء الثقيلة التي يحبها: «هل أفهم من التذمّر البادي عليك، أنك لم تحصل على أكثر من تناول

الشاي مع أمها؟».

هز رأسه وهي تضع طبق البسكويت على المنضدة، آملاً أن تقفل الموضوع. لكنها استمرت بالكلام قائلة: «خلال الأسبوع الماضي، كنت تخرج كل مساء تقريباً للاطمئنان عن حال السيدة برانان، لتعود بعدها عابساً وعلى وجهك ملامح التصميم، ولا يمكنك أن تنكر ذلك».

لكنه لم يكن ينكر. فعندما قبل دعوة لورا إلى العشاء، أحرز تقدماً مع آلي. أما حين كان يزورها للاطمئنان عن حالها فحسب، آملاً أن تقبل آلي دعوته للتنزه على ضفاف النهر، أو لمرافقته إلى سوق المدينة، فقد كانت ترفض بأدب.

لكن رفضها هذا زاده إصراراً وعزماً على جعلها تغيّر رأيها به فتبادله المشاعر الملتهبة نفسها التي يكنها لها.

ولكن في الليلة الماضية أخبرته لورا أن آلي عادت إلى لندن. ولمّحت له بطريقتها الرقيقة بأنها آسفة للغاية لأنه يضيّع وقته، فابنتها لا تهتم بالرجال.

وكان المعنى واضحاً وهو أن آلي فتاة شاذة.

وراح يقطع الشوارع المضاءة بنور الشفق، بخطوات متثاقلة، وقد تملكه الغضب.. الغضب من نفسه أكثر منه من آلي لأنه كان موضع سخرية، فدفعه ذلك إلى أن يستعجل هاري ليقبل به شريكاً مموّلاً.

- إنها خطة التوسع.. اشتر «ڤان» في حالة جيدة، واكتب اسمك ورقم هاتفك على جانبيه واستخدم عاملاً ودرّبه على العمل. فإن لم تفعل ذلك فلن يتحسن عملك أبداً.

سيهتم محاسبوه بالأمر حتى لا يكتشف الرجل العجوز أن أرباحه تأتي من حساب جيثرو الخاص، فهو يريد أن يضمن مستقبل مربيته.

بعد انتهاء المناقشة، ذهب هاري إلى الفناء ليتفحص «الڤان» الذي يكاد يكون جديداً، بينما دخل جيثرو ليحزم حقائبه محاولاً أن يبعث الحماسة في تلك الإجازة غير المستعجلة، وأن ينسى «أليسا برونان» أيضاً.

لكن المربية بريغس كان لها رأي آخر. فقالت له بجفاء: «عليك أن تحسن مظهرك، يا سيدي الصغير. ارتدِ ملابس أنيقة عندما تذهب لزيارتها واحمل لها باقة زهر وعلبة حلوى».

إنها تعلّمه كيف يغري النساء، ولكن كيف له أن يقول لها إنه لم يجد يوماً صعوبة في الوصول إلى امرأة، بل الصعوبة هي في إبعادهن عنه؟

ما كان ليتعذر عليه أن يشتري لآلي مصنعاً من الشوكولاتة وحقلاً من الأزهار أو حتى أن يطال القمر ويضعه بين يديها! إن كفاحه الشاق في الحياة، وخبرته في النساء جعلاه يعلم أن ملايينه ستسهل عليه طريق الوصول إليها. لكنه أرادها أن تحبه لنفسه وليس لثرائه. هذا ما كان يسعى إليه قبل أن يعلم أنها شاذة، وشعر بأنه أحمق رجل في العالم.

ابتلع آخر جرعة من قهوته، قبل أن يهب واقفاً. فراحت المربية تنظر إليه مذهولة وهو يدور في أنحاء الغرفة، يسوّي ستائر النافذة وهو شارد الذهن، يحاول حتماً، إيجاد طريقة يصلح بها حياته العاطفية.

كان على وشك أن يعلن عن رغبته في إحضار سيارته «الجاغوار»

والتوجه نحو التلال، عندما سمّره صوت المربية، مكانه.

- يبدو لي أن ملاحقتك لتلك الفتاة ليست من طرف واحد. لأن السيدة الشابة التي يهمك أمرها على وشك أن تقرع جرس الباب.

* * *

لم يسبق أن شعرت آلي بمثل هذا التوتر من قبل. فمنذ رأت سيارة جيثرو الڤان القديمة متوقفة أمام المنزل رقم ١٨٢، أخذت تذرع الرصيف ذهاباً وإياباً، محاولة استجماع أفكارها لمقابلته.

كانت قد صممت على أن تسلم جدته رسالة تطلب منه فيها أن يزورها بعد الانتهاء من عمله لأنها تريد منه خدمة.

كانت تعلم أنه يعيش مع جدته، لأنها سألته أثناء تناوله العشاء في منزلها عما إذا كان يسكن وحده، فأجابها قائلاً: «أعيش حالياً مع..» وتوقف فجأة عن الكلام، مما جعلها تظن أنه يشعر بالخزي لأنه يسكن مع شخص في مثل سنه، لأنه غير قادر على دفع أجرة المسكن لنفسه.

ويوم اصطحبت أمها إلى السوبر ماركت في سيارة فران، وضعت يدها على ذراعها بعجلة عند وصولها أمام منزل جدته قائلة: «قفي يا آلي. ذلك هو الشاب الرقيق الشهم الذي نقلني إلى البيت بعد أن أغمي عليّ في الشارع. لم أستطع يومها أن أشكره كما يجب، وأريد أن أفعل ذلك الآن».

العجوز الصغيرة الجسم، البيضاء الشعر التي كانت تقف عند أسفل السلم تصدر له تعليماتها، وتنبّهه إلى الزوايا، أشرق وجهها عندما شرحت لها لورا ما حدث وصاحت له بشكرها إلى أعلى السلّم. وحذت آلي حذوه، فكل من يسدي معروفاً إلى أمها يستحق

شكرها. بدا على الرجل الواقف في أعلى السلم وكأنه تلقى صدمة، تاركاً السيدة العجوز تؤكد على أن جيثرو يتمتع بقلب كبير، وأنه تمت تربيته تربية حسنة. ولكن عليهما أن يعذراه لأنه لم ينزل عن السلم، فهو جديد في العمل مع أنه سريع التعلم.

استنتجت آلي عند هذه النقطة أن جيثرو رجل خجول إلى حد لا يستطيع معه أن يتحدث عن نفسه وربما ليس ذكياً، فشعرت بالأسف العميق نحوه.

فهو، في بداية الثلاثينات من عمره، ويحاول أن يتعلم تنظيف النوافذ، بينما وسامته البالغة، ورجولته النابضة، وشعره الأسود الناعم، وقامته الرائعة، تتيح له أن يكسب ثروة طائلة من العمل في حقل عرض الأزياء، فاستعجلت أمها بالذهاب، لتوفّر عليه مزيداً من الارتباك.

لكن رأيها فيه تغيّر كلياً عندما زارهن حاملاً باقة كبيرة من الزهر لأمها، وجلس مسترخياً بالغ الثقة بنفسه. وفي كل مرة كان يرفع فيه نظره إليها، كان يُخيّل إليها وكأنه يأكلها بعينيه. وفي كل مرة دعاها للخروج كانت ترفض، آملة أن تجعله يفهم أنها لا تهتم أبداً لما يدور في ذهنه. وها هي الآن، تريد أن تطلب منه أن يتزوجها.

شعرت بالغثيان وعصر الألم قلبها. لكنها ما لبثت أن تمالكت نفسها لتقف أمام الباب بكل ثقة بالنفس.

خطر لها أن تترك له رسالة، حتى يتسنى لها الوقت الكافي للتفكير في ما ستقوله له. لكن لماذا بقي اليوم في المنزل ولم يذهب إلى العمل؟ أتراه تأخر في النوم؟ أم خسر زبائنه لعدم كفاءته؟ أو لعل ذلك «الفان» القديم قد تعطل؟

مهما كان السبب، فهو سينتهز الفرصة ليكسب مبلغاً من المال.

ولم يكن أمامها سوى أن تطلب منه ذلك الآن. ففي الأمس وصلت متأخرة إلى «شروزباري»، ووجدت أمها مستيقظة تشاهد التلفزيون، فاضطرت أن تشرح لها ما حصل عند محامي عمها فابيان، وتعيد عليها الحديث كلمة كلمة.

كانت تفضل أن تؤجل الموضوع إلى أن تحل هذه المشكلة، أو تتخلى عن الفكرة برمتها. لكنها لم تستطع أن تكذب على أمها.

منظر السعادة على وجه أمها، حين علمت أن شقيق زوجها قد ترك قصر «ستدلي» لابنتها، آلم آلي أكثر من الإحباط الذي بدا في تينك العينين الزرقاوين وهي تخبرها عن الشرط. تنهدت لورا قائلة:

ـ هكذا إذن.. لطالما كان متحجر القلب.

ضمتها آلي في تلك اللحظة بين ذراعيها، وقد ازدادت تصميماً على أن تحقق حلم أمها، وتعيد لها ذلك المنزل الجميل الذي أمضت سنوات طويلة تحن إليه.

ـ لا تنبسي ببنت شفة أمام أحد، ولا تندهشي لما قد يحدث. أظنني أعرف الطريقة المناسبة لأستعيد البيت.

خرجت تلك الكلمات من فمها بسهولة في غمرة العواطف، ولكن الأمر تغيّر تماماً في وضح النهار.

لم يكن أمامها سوى المحاولة. ويمكنه أن يرفض إن شاء..

استقامت في وقفتها، ودست خلف أذنها خصلة شعر أفلتت من العقدة التي تربطها.

فُتح الباب قبل أن ترفع إصبعها عن زر الجرس، وقالت لها جدته: «الآنسة برانان، أليس كذلك؟ تفضلي بالدخول».

بعث مظهر تلك السيدة الاطمئنان في نفس آلي. فقد كانت ترتدي مئزراً يغطي جسمها البدين، وملامح وجهها الرزينة تتناقض مع عينيها الباسمتين وراحت آلي تفكر بأن جدته امرأة يمكن لأي فتاة أن تطمئن إليها، ثم قالت بسرعة: «لا أريد أن أزعجكم. هلا سلّمت هذه الرسالة لجيثرو».

ـ ولمَ لا تسلّمينه إياها بنفسك.

وتنحت جانباً لتدع الفتاة تمر.

حاولت أن تهدىء من خفقان قلبها وهي تتخطى العتبة. وبدا أن السيدة العجوز لا تحبذ المضطربين إذ قالت لآلي وهي تسير أمامها: «من هنا لو سمحت. قولي ما عندك وأريحي الفتى المسكين من تعاسته بأي طريقة كانت».

ودفعتها بيد حازمة إلى غرفة جلوس صغيرة تعج بمقاعد ثقيلة الوزن من طراز العهد الفيكتوري. سمعت الباب ينغلق خلفها ووجدت نفسها تحدّق إلى ظهر جيثرو كول.

بدا مستغرقاً في تأمل المناظر من النافذة، ولكنها لم تكن واثقة ما إذا كان بإمكانه أن يرى شيئاً من خلال تلك الستائر السميكة، وتذكرت فجأة كلام جدته وإلحاحها عليها أن تريحه من تعاسته. ولما حاولت حل هذا اللغز، ازداد اضطرابها حدّة.

أخذ قلبها يخفق، فتنحنحت لتنبهه إلى وصولها، وعندما استدار نحوها ببطء شديد، شعرت وكأنها تنظر إلى إنسان غريب، فذلك الرجل البسيط الظريف الجذاب ذو العينين اللتين كلما حدقتا بها شعرت وكأنهما تعريانها من ثيابها، اختفى ليحلّ محله رجل صلب الملامح بشكل متغطرس، في عينيه نظرة باردة لا مبالية.

وعلى الرغم من أنه كان يرتدي سرواله القديم وقميصه البالي، استطاع أن يحيط نفسه بهالة من السلطة، واتسعت عيناها وهي تراه أكثر إرهاباً من جدته التي لا تُهزم.

أسبل جيثرو جفنيه، وتلاشت الابتسامة التي كانت تحاول أن ترسمها على ثغرها، وبدا القلق في العينين الواسعتين الداكنتي الزرقة. لأول مرة تبدو ضعيفة إلى هذا الحد، حتى الهدوء البارد الذي كان يلازمها امّحى بطريقة أو بأخرى.

رفعت يدها إلى فمها لتخفي شبه ابتسامة استحالت إلى عبوس، فجاءت هذه الحركة لتتناقض مع رشاقتها المعتادة، إذ كانت أقرب إلى الارتباك الأخرق.

أخمد رغبة ساورته في ضمّها بين ذراعيه ليزيل قلقها بكلماته الرقيقة وليقول لها إنه مستعد لحل كل مشاكلها، فهي ليست له ولن تكون له أبداً، لأن مشاعرها تأخذ منحىً مختلفاً.

مال إلى الخلف وسألها بفتور، محطماً جدار الصمت بينهما:

ـ كيف يسعني خدمتك؟

ثم نظر إلى ساعته وكأنه يعد الثواني التي يمكنه أن يمنحها إياها.

جاهدت آلي لتتمالك نفسها. ما هذا؟ إنه مجرد رجل.. لم يستطع أي رجل أن يرهبها من قبل. وهو لا يختلف عن غيره، وتلك الملامح الخشنة الكئيبة قد لا تكون أكثر من مجرد نكد وشراسة ولعل غروره مجروح لأنها رفضت بعناد الخروج معه.

حسناً، ستقدم إليه الآن أكثر من مجرد مواعيد سخيفة.. والمال، المال الكثير.

عدّلت كتفيها تحت قميصها القطني الذي كان يعلو سروالاً

أخضر فضفاضاً قديماً لا يثير فيه أي مشاعر، ثم أخذت نفساً عميقاً وقالت بهدوء: «أريد منك خدمة، وسأدفع لك في المقابل مبلغاً كبيراً».

ثم نطقت بالمبلغ المتوفر لديها وهي تراقبه بدقة، لتسجل تغير ملامحه. ولكنه لم يبد أي اهتمام بالأمر. كانت واثقة تماماً من أنه سيطير فرحاً لحصوله على هذه الثروة الصغيرة، ثم يبدأ بطرح الأسئلة عما تريده منه. وشعرت بخيبة أمل كبيرة ما لبثت أن تحولت إلى إحساس بالانزعاج.

كانت تبذل جهداً بالغاً للتفاهم مع هذا الإنسان الضخم المرعب! ولا بد أن جدته العزيزة مسمرة خلف الباب تسترق السمع. فقالت بصوت يلفه القنوط: «أفضل أن نذهب إلى مكان آخر حيث يمكننا أن نتحدث على حريتنا. ولكن عليّ أن أخبرك أن المبلغ الذي ذكرته لك غير قابل للزيادة».

قالت هذا حتى لا يخطر بباله أن يرفع المبلغ.

فاكتفى برفع حاجبه قليلاً مما أثار سخطها، لماذا لا يقول لها، لا. شكراً. اذهبي من هنا، وينتهي الأمر؟

- إن كان الأمر لا يهمك، فكن صريحاً معي، حتى لا أضيّع المزيد من وقتك الثمين!

أدرك أنها على وشك أن تنفجر غضباً، وهذا ما كان يتمناه. فرؤية تلك المرأة التي طاردها بكل جوارحه، تلك المرأة التي لم تمنحه قطُّ نظرة خاصة، هذه الرؤية أثارت طباعه والشعور بأنه كان أحمق.

استدارت على عقبيها، ونفاد الصبر والغضب باديان عليها، فقال

لها: «الأمر يهمني».

ثم لعن نفسه لأنه لم يدعها ترحل، وتغيب عن بصره، وعقله. لكنه أضاف بعد أن رأى الارتياح على وجهها وهي تعود فتستدير نحوه.

- يتملكني الفضول لمعرفة الخدمة التي ستدفعين لأجلها هذا المبلغ هل نخرج؟

تركها منتظرة في الردهة دقيقة أو أكثر، بينما ذهب حسب ما خيّل إليها ليخبر جدته بخروجهما معاً. ستطلب منه تلك السيدة العجوز أن يخبرها أين كان وماذا فعل؟ أتراها تبالغ في حمايته بسبب ضعفه وعدم مهارته أو لا مبالاته؟

لم تستطع أن تقتنع بذلك، خصوصاً بعد دخولها إلى الغرفة وإحساسها بتلك الهالة من السلطة التي تحيط به، ورؤيتها تلك النظرة الباردة المتفحصة في تينك العينين الذهبيتين.

وارتجفت لدى سماعها صوته: «جاهزة؟».

فأجابت: «نعم».

ولحقت به. ولكنها توقفت عندما فتح لها باب «الڤان» القديم، وقالت: «من الأفضل أن نذهب سيراً على الأقدام إلى الحديقة العامة ونجلس على مقعد خشبي. ما من داع للذهاب في سيارة».

بدت لها السيارة على وشك أن تنهار، وفكرة أن تصعد فيها معه زادت من توترها.. ستشعر براحة أكبر في الهواء الطلق وبين الناس.

وقفت مسمرة مكانها على الرصيف، ولكنه قال برفق: «أرى أن نذهب بالسيارة لارتشاف فنجان قهوة في مقهى أعرفه، له حديقة خلفية تطل على النهر. وإن طال حديثنا، نبقَ على الغداء».

ولوى شفتيه مضيفاً «أتخشين أن يراك أحد في سيارة كهذه ويسيء إلى صورتك كعارضة أزياء مشهورة؟».

إنه يعلم إذن! ولن تسأله كيف، إلا أنه مسّ وتراً حساساً فيها، فراحت شفتاها ترتجفان وقالت بغضب وهي تربت على بنطلونها الفضفاض «أتظن أنني كنت سألبس ثياباً مماثلة لو أنني أخشى ذلك؟».

ثم صعدت إلى السيارة لتبرهن له، ولكنها ما لبثت أن ندمت على ذلك، وتمنت لو أنها أصرّت على مرافقته سيراً على الأقدام إلى الحديقة العامة

حتى قرقعة محرك السيارة لم تخفف من الصمت الذي ساد بينهما، مما زاد من اضطرابها. في الواقع، لم تفهم آلي ما أصابه فطوال الأسبوع الماضي، أظهر حماسة ولهفة لصحبتها، وقد بدا جلياً أنه مفتون بها ويريد الخروج معها. وإذا به يتصرف الآن وكأنه يكرهها كل الكره، هي التي ظنت أنها عثرت على رجل مناسب، خالي الوفاض من المال والآمال، بعيد عن غرور الرجال الذي يجعلهم يظنون أن المرأة تنصاع لإرادتهم من نظرة واحدة.

لكنه تحول في نظرها إلى لغز غامض.

تنهدت من دون وعي، فرفع جيثرو نظره إليها. وإذا بالألم يعتصر فؤاده وهو يتأمل وجهها الشاعري، وجبهتها العريضة وأنفها الصغير المستقيم وشفتها العليا الممتلئة وفمها المثير وبشرتها النقية التي لا تشوبها شائبة، وشعرها الذهبي المضموم إلى الخلف ليكشف عن جيدها الطويل الرقيق.

عاد يحدق في الطريق أمامه وقد توترت ملامحه. كان عليه أن

يخبرها بأنه لا يهتم لمالها، ويتركها تذهب في سبيلها. فقد جعلت منه رجلاً أحمق، من دون أن تقصد حقاً. فما الذي يجبرها على تعليل سبب ميولها الشاذة لرجل غريب؟

شعر بالضيق والانقباض وهو يوقف السيارة في فناء مقهى جميل على ضفاف النهر

لقد جاءا لارتشاف فنجان قهوة فحسب، فما الداعي إلى الغداء؟ ولماذا البقاء طويلاً معاً؟ عاجلاً أم آجلاً ستطرح مشكلتها، ليقدم لها النصيحة المناسبة، ثم يعيدها إلى بيتها وينسى كل شيء عنها وعن مشاعره نحوها.

كان يدس يده في جيبه ليخرج ثمن القهوة، عندما رآها تفتح حقيبة كتفها وهي تقول بهدوء: «دعني أدفع ذلك».

ثم أعطت الموظف ورقة مالية. أراد جيثرو أن يغادر المقهى على الفور، إذ لم يعتد أن تدفع عنه امرأة. وكره الاستعلاء الذي تعامله به، لأنها ستدفع له أجر خدماته، ولكن قبل أن ينتهي هذا النهار البائس سيخبرها عن نفسه ومن يكون.

كلمات قليلة منه تدرك هي بعدها أن النقود التي وضعتها على المائدة أجراً لخدماته قد تكون في نظرها كثيرة، لكنّها بالنسبة إليه، مجرد «فكة»، يضعها في جيبه.

وبينما كان مستغرقاً في أفكاره، أشار إلى باب يؤدي إلى حدائق تغمرها أشعة الشمس، وتشرف على النهر، وبعد أن تركها تسير أمامه، تمنى لو أن الأرض انشقت وابتلعته قبل أن يفعل ذلك، لأن الضوء تسلل عبر قماش سروالها الرقيق ليكشف عن رشاقة ساقيها البديعتين.

تبعها إلى المائدة الوحيدة ذات المظلة، وهو يكبح المشاعر التي تملكته، وانعكس ظل المظلة الخضراء على آلي فبدت بمظهر سماوي، وبداها الرقيقتان تسويان خصلات شعرها الذهبي، وتدسانه خلف أذنيها، مما جعله يشعر بغصة في حلقه. وأسفاه عليها!

لكنه عاد فذكّر نفسه، بحزم، أن ليس بإمكانها أن تغيّر ما هي عليه، وأسف لجمال هذا الوجه ونقاسيمه، هذا الوجه الملائكي الذي خلق للحب.

أخذ يزمجر، بصمت، وهو ينتظر تقديم القهوة، فاستقام في جلسته ليدحل صلب الموضوع، لأن الانتظار أصبح ضرباً من التعذيب النفسي. كان يريد أن تخرج من حياته.. تخرج منها إلى غير عودة

- والآن، ما هي الخدمة التي تريدين أن تعطيني عليها أجراً؟

توقفت آلي عن العبث بخصلات شعرها، وأمسكت بطوق حقيبتها لتخفي ارتجاف يديها. لقد حانت اللحظة، وبصراحة، كانت مذعورة للغاية. إذ ليس من السهل أن يمتثل رجل مثله لرغباتها هذا الرجل، المقطب الجبين، لا يقدم على عمل لا يريده. وليكن الله بعون كل من يحاول أن يحمله على ذلك!

لكنها سبق أن خطت الخطوة الأولى، فلتمضي قدماً إذن.

وقالت: «أريد منك أن تتزوجني».

* * *

٣ ـ الصفقة

بدأت الدماء تغلي في عروقه. لو قدمت له هذا العرض منذ يومين، لطار فرحاً، ولما تردد لحظة في أن يتزوجها، ويدخلها حياته ويؤدي واجباته كاملة.

يا إلهي! لا بد أنه وقع فعلاً في الغرام. فما من امرأة سواها استطاعت أن تثير فيه ذاك السرور البالغ وكلما نظر إليها اشتعلت نيران الهيام في قلبه وشعر برغبة مدمرة، فارتشف جرعة كبيرة من القهوة ليهدىء مشاعره. طوال الأسبوع الماضي لم تتخطى تصرفاتها معه حدود الأدب المتحفظ. وها هي الآن تريد الزواج به وستدفع له أجراً في المقابل.

نظر إلى عينيها المضطربتين، ولاحظ أنها كانت تعض على شفتها، تنتظر جوابه، فقال لها: «لماذا؟ هل أنت حامل؟».

كان هذا أول تفسير طرأ على ذهنه. فما الذي قد يدفع فتاة رائعة الجمال إلى البحث عن زوج، إلا إن كانت حاملاً وتريد أباً لطفلها بعد أن تخلى أباه عنها؟

توهج وجهها احمراراً وقالت: «كلا، كلا طبعاً».

فأعاده ردها إلى نقطة الصفر... يا لغبائه! من أين لها أن تحمل وهي شاذة؟

مال في جلسته، ووضع يده على مسند الكرسي حتى ينسى له أن يستجمع أفكاره، وأظهر لها رقة ودماثة تتناقضان تماماً مع غليان مشاعره، ثم سألها: «لماذا لا تخبرينني عمّا يدعوك إلى الزواج؟ ولماذا اخترتني أنا بالذات؟».

كانت آلي تجاهد للحفاظ على هدوئها، لتكافح رغبة تدفعها إلى الهرب. فذاك الرجل المهذب الرقيق الذي تسكع حولها أكثر أمسيات الأسبوع الماضي، لا يشبه هذا الرجل الذي يجلس قبالتها على المائدة، هذا الرجل يبدو خشناً وكأن بإمكانه أن يتولى قيادة جيوش ضخمة بحركة واحدة من حاجبيه الأسودين المستقيمين.

فكيف تخبره بأنها حسبته سيرضى بأي شيء لسوء أوضاعه المادية؟

وتذكرت فجأة أنها لم تلمح فيه، هذا الصباح، صورة الرجل الذي عرفته، إلا حين قالت له إنها تريد الزواج به. فقد ارتسمت على وجهه علامات الصدمة نفسها التي بدت عليه حين شكرته لمساعدة أمها.

وها هو ينتظر أن يسمع سبب عرضها الزواج عليه. ولا بد أنه يعتبرها مجنونة تهذي!

بدت عيناه الذهبيتان يقظتين، بالرغم من أنه كان يجلس باسترخاء شابكاً ذراعه فوق مسند الكرسي، ولفت انتباهها قماش قميصه الرقيق الذي يكشف عن عضلاته القوية ومنكبيه العريضين وصدره الذي ينبض رجولة.

عضت شفتها وخفضت بصرها، إنه مثير حقاً! وماذا في ذلك؟ إنه الشخص نفسه الذي يكافح في سبيل لقمة عيشه. هيا يا امرأة قولي

ما عندك. أخذت نفساً عميقاً، ووضعت راحتيها على المائدة وهي تحدث نفسها بأنها لن تخسر شيئاً في مطلق الأحوال. ثم قالت له: «أورثني عمي فابيان برانان عقاراً في «شروبشاير» شرط أن أكون متزوجة عند وفاته أو أن أتزوج في غضون شهر. ولكن قلما يهمني أمر العقار أو الزواج»

ورفعت عينيها لتشتبكا بعينيه وتؤكد على صدق كلامها. واستطردت قائلة: «إلا أن أمي تريد قصر «ستدلي»، فقد أمضت فيه أسعد سنوات حياتها، وهي مستعدة للتضحية بأي شيء لكي تعود إليه»

تنهدت برقة وبصوت لا يكاد يُسمع، فوجد نفسه يسألها برقة وهو يلعن الطريقة التي استطاعت أن تثير بها شهامته: «ولماذا تركت ذلك المنزل؟»

فأجابت بمرارة: «أراد عمي أن يستعيده. كان لجدي ولدان، فابيان وهو عمي، ومارك وهو أبي. وعمي يكبر أبي بعدة سنوات، وكان يرى فيه إنساناً ضعيفاً واهناً، لا أهمية له، ورجلاً حالماً لا رجاء فيه. وعندما مات جدي انتقل «قصر ستدلي» هذا، إلى عمي فابيان ولما كان هذا الأخير منشغلاً ببناء مستقبله في لندن ومنغمساً في ملذات الحياة ولا رغبة له في العيش فيه، سمح لوالديّ بأن يعيشا فيه بموجب عقد إيجار لخمس سنوات، ومقابل مبلغ متواضع. فقد كان أبي يؤلف قصصاً، لم تكن ناجحة تماماً ولكنه كان يجني منها ما يكفي ليعيلنا. لم يكن يهم والدي نقص المال فقد كانا يعيشان في عالم الخيال بعيدين عن الواقع. ولكن عند بلوغي الخامسة عشرة، استحالت سعادتهما حزناً، اذ طردنا فابيان من المنزل رافضاً تجديد

العقد، لأن زوجته العتيدة كانت متشوقة إلى حمل لقب (سيدة القصر)».

لاحظ توتر فمها، وصرير أسنانها وهي تتابع كلامها.

ـ وهكذا خرجت مع والديك من المنزل؟

أومأت برأسها وهي تمسك بملعقة القهوة وتحرّكها في الفنجان، ثم ما لبثت أن وضعتها جانباً لتشبك يديها بسرعة حتى تخفي توترها. وعندما عادت إلى الكلام كان صوتها هادئاً منضبطاً، فتساءل عما قد يحدث إن أطلقت العنان لمشاعرها المكبوتة.

ـ غادرنا «ستدلي» وانتقلنا للعيش مع خالتي فران التي هجرها زوجها، ريثما يجد لنا أبي بيتاً للإيجار. ما زلت أتذكر أمي وهي تحاول التسلح بالشجاعة قائلة إن من غير المهم أن يكون المنزل الذي سيجده، متداعياً، ما دام في الريف وله حديقة. كانا أشبه بولدين مرتبكين، ثم..

وتهدج صوتها، لكنها سيطرت عليه...

ـ اشترت شركة عالمية دار النشر التي طالما تعامل أبي معها، ورفضت تجديد عقد أبي، مدعية بأن عمله لا يناسب السوق. ولم يقوَ على مواجهة فقدانه لبيته وعمله، مصدر عيشه الوحيد في آن معاً، فانتحر.

مدّ جيثرو يده بحركة غريزية يغطي يديها قائلاً: «ما أفظع هذا، يا آلي!».

ولم تحاول هي أن تبعد يديها، فشعر بالسرور لذلك، إذ جلّ ما أراد أن يمنحها إياه في تلك اللحظة، هو بعض التعاطف الإنساني.

أطبقت أصابعها على أصابعه ببطء وكأنها تشعر بعرفان الجميل

لعواطفه الدافئة. قال برقة: «هل خطر لك أن عودة أمك إلى ذلك المنزل قد تعيد إليها ذكريات مؤلمة لا تستطيع احتمالها؟».

ـ آه، لا.

بدت واثقة جداً من ذلك حتى أن شبح ابتسامة بدا على شفتيها:

ـ بعد موت أبي بسنتين، سمعنا أن قصر «ستدلي» قد عاد خالياً، لأن زوجة فابيان رفعت عليه دعوى طلاق وسافرت إلى فرنسا بينما انتقل هو للعيش في لندن. عندما سمعت أمي الخبر، عادت الحياة تسري في عروقها من جديد، فسافرت لتراه، وقد أعدت خطة في رأسها. في تلك الفترة كنت قد تركت المدرسة ورحت أبحث عن طريقة شرعية لأكسب النقود بسرعة، فخطر لأمي أن نعود إلى القصر، حيث يمكننا أن ننشىء دار حضانة صغيرة في الحديقة المسوّرة.. وافق فابيان على ذلك، شرط أن تسمح له أمي بزيارتها باستمرار. فلطالما كان عمي معجباً بأمي، ويعتبر أخاه العاجز عديم النفع غير لائق بها. وهكذا لم يكن هناك من جدوى في ذلك.

وهزت كتفيها باستسلام، ثم نظرت إليه مباشرة وعيناها تلمعان، وقالت له بحزم: «إن نفذت شرط وصية فابيان فسأعيد إلى أمي سعادتها وبهجتها بالعيش حيث طالما تمنت. كما أنني سأستمتع بهزم فابيان ولو مرة واحدة. لهذا السبب عليّ أن أعود إلى مكتب المحامي متأبطة ذراع زوجي».

فسألها: «ولماذا اخترتني أنا بالذات؟».

رفعت نظرها إليه، ثم سحبت يديها من يده ببطء، وكأنها لم تنتبه من قبل إلى تمسكه بها، ثم أجابت بصراحة: «لأنني لا أعرف رجلاً آخر قد يقبل الزواج بي حسب شروطي».

حثها عطفه عليها على التغلب على توترها وفتح قلبها له، فأضافت تقول: «تصورت أنك ربما تجد المال مفيداً لك. فتستطيع به أن تشتري سيارة جديدة، أنت بأمس الحاجة إليها».

فسألها: «ما هي شروط الزواج؟».

فأجابت بما حقق ظنه: «زواج بالإسم فقط. علينا أن نظهر معاً أمام الناس إلى أن يصبح «ستدلي» ملكي. ولكن خلف الأبواب المغلقة، لكل منا غرفة منفصلة، وحياة مستقلة. وبعد فترة وجيزة، فلنقل سنة مثلاً، يمكننا الانفصال بحجة أننا لم نتفق».

لعام بكامله ستشتريه وتدفع له أجراً، يعيش أثناءه معها ومع ذلك لا يعيش.. ولمّا أدرك أن ما من وسيلة لإقناعها بمشاركته الغرفة.. شعر بأن ذلك سيدفعه حتماً إلى الجنون.

لكن تلهفها إلى إعادة السعادة إلى أمها، أثار مشاعره، فقد عانت وأمها الأمرين. كان يعرف أن ما سيقترحه عليها سيدفعه إلى الاعتراف بشخصيته الحقيقية.

ولكن، قبل ذلك، عليه أن يطرح عليها سؤالاً: «إن لم تتزوجي فقد يباع المنزل، فلماذا لا تشتريه إذن؟ فالمبلغ الذي ستدفعينه لي يصلح عربوناً، ويمكنك بعدها أن تدفعي الأقساط مما تكسبينه، فعارضات الأزياء الشهيرات يكسبن جيداً».

- هذا صحيح.

لكن الطريقة التي يراوغها بها من دون أن يعطيها جواباً حاسماً، ابتدأت تخيفها، وتثير توترها.

- ولكن، انظر إلى الموضوع بشكل واقعي.. بلغت اليوم ذروة النجاح، بعدما استغرق مني ذلك سنوات طويلة، ولكني لا أستطيع

المجازفة. فقد يتجاوز ثمن القصر والأرض المليون جنيهاً إذا ما عرض في المزاد.

أحنى رأسه باقتناع صامت. للحظة خلت كان على وشك أن يكشف لها عن نواياه، فقد خطر له أن يشتري هذا العقار لأن استثمار المال في العقارات مربح، ويمكنه بعدها تعيين أمها مسؤولة عنه مقابل أجر تافه ومن دون ارتباطات، أو إسراف في الشكر، فهو لا يريد منها شيئاً.

لكنه يريد أولاً أن يسمع إثباتاً منها إذ ليس لديه ما يجعله يشك في كلام أمها. عليه أن يسمع ذلك منها حتى يتمكن من أن ينبذها من ذهنه وإلى الأبد.

- آلي.. هل أنت فتاة شاذة؟

اتسعت عيناها وهي تنظر إليه غير مصدقة، ثم توهج وجهها احمراراً.

- أيها الوغد المغرور. ألأنني لم أشأ الخروج معك، أو مشاركتك الغرفة نفسها بعد الزواج، افترضت حالاً «أنني شاذة؟».

وتناولت حقيبتها وهبت واقفة وهي تنظر إليه بغضب بالغ: «إنني إنسانة طبيعية مثلك ولكنك لم ترق لي. وكل ما أريده منك هو قطعة ورق تثبت أنني متزوجة».

وضاقت عيناها وتوتر فكها وقالت وهي تصر أسنانها: «وبما أنك لن تتكرم عليّ بذلك، فأقول لك وداعاً!».

ثم ابتعدت مرفوعة الرأس متنقلة بين الموائد، بينما أخذ جيثرو يلاحقها بنظراته وقد ارتسمت على ثغره ابتسامة عريضة كشفت عن أسنانه البيضاء. فغضبها الشديد وإنكارها البادي الصدق غيّرا مجرى

الأمور. أليس هذا ما حدث للتوّ؟

لم يكن لقول لورا، إن ابنتها لا تحب الرجال، أي علاقة بمشاعر ابنتها. فالحذر من الرجال هو الأصح. أتراه بسبب شيء حدث لها في الماضي؟ وصمم على أن يعرف ما هو، ليعمل بعدها على تغيير موقفها منه.

أما ادعاؤها أنه لا يعجبها، وأنها مصرة على عدم مشاطرته الغرفة إن تزوجا، فذلك شيء آخر ينوي تغييره!

نهض واقفاً ببطء، وعندما مرّ بالقريب من زوجين في منتصف العمر، بادٍ عليهما الفضول، ابتسم لهما ثمّ دسّ يده في جيبه وأخرج هبة سخية ليضعها في الصينية على المائدة، ثم لحق بآلي.

وكان لديه كل الرغبة في التكرّم على السيدة!

كما أنه لا يتوقع أي شيء سوى متعة النتيجة السعيدة.

* * *

٤ ـ في الفخ..

وقفت آلي في فناء المقهى الجميل وأشعة الشمس تغمرها. كان هذا الصباح مريعاً، ليس لأن جيثرو كول المغرور لم يبد أدنى اهتمام بما عرضته عليه فحسب، بل لأنها فقدت الأمل في إقناعه بتغيير رأيه. فقد ثارت ثائرتها بشكل لم تعهده من قبل، وكلمته بفظاظة وغضب ونفاد صبر! إلا أنها لا تعرف كيف حدث هذا ولماذا. هي التي يلقبها زملاؤها «بلوح الجليد» لبرودتها.

أمّا أملها في أن ترث قصر «ستدلي»، فقد تبخر في الهواء.

كيف لها أن تواجه أمها وتخبرها بأنه لم يعد من أمل في استعادة «ستدلي». ما كان عليها أن تزرع الأمل في قلب عزيزتها المسكينة، أو أن تكذب على المحامي من البداية.

أرخت كتفيها وفترت همّتها. وإذ أبعدت من رأسها فكرة العودة إلى المدينة سيراً على الأقدام، استدارت لتعود إلى المقهى وتطلب سيارة تاكسي، وإذا بها تصطدم مباشرة بصدر جيثرو الرحب.

شهقت عالياً وهي تشعر بذراعيه تطوقانها، وحرارة جسمه تحرق جلدها، فتبعث رعشة في أوصالها وكل عصب في جسمها. رفعت يدها تدفعه عنها، فشعرت بخفقان قلبه تحت راحتها، فتركت يدها حيث هي، بعد أن شعرت بالعجز عن تحريكها.

ـ هل أنت مستعدة للذهاب؟

تسللت رقة صوته وعذوبته، وأنفاسه الخفيفة فوق صدغها إلى كيانها والله وحده يعلم كم بقيا واقفين على هذه الحال، أشبه بعاشقين نيمهما الهوى!

وعندما مد يديه إلى خصرها، قفزت مبتعدة عنه، وقد تسارع نبضها.

ـ أنا ذاهبة..

وذُعرت وهي تسمع صوتها المخنوق، وترى تلك الابتسامة العريضة على وجهه... تلك الابتسامة الشبيهة بابتسامة القرصان. ابتلعت ريقها بتشنج وهي تلملم بقايا كرامتها المبعثرة، وحاولت أن تتمالك نفسها لتتابع كلامها قائلة:

ـ أنا ذاهبة لأطلب سيارة تاكسي، ولا حاجة لأن تضيع وقتك أكثر من ذلك».

فقال بمرح وعيناه تتراقصان تحت أهدابه الكثيفة: «وقتي هو ملكي وأستعمله كما أشاء».

ورفع يده يزيح خصلة من الشعر الأسود عن عينيه، بينما شد بالأخرى على مرفقها مضيفاً: «لا تستقل زوجتي، العنيدة، سيارة تاكسي بينما أنا موجود لأقلّها بسيارتي».

شعرت آلي بقدميها تتسمران على الحصى، وبأنفاسها تنقطع. إن كانت قد سمعته جيداً، فعليها أن تعود معه إلى المقهى وتقدم له أفخر أنواع الطعام، احتفالاً بتغلبها على خطة فابيان المخادعة تلك.

لماذا لم تفعل هذا إذن؟ ولماذا هذا الشعور العميق بالخوف يشلّها؟ أحست وكأن مستقبلها لم يعد ملكها، وكأن كل ما جعل

حياتها رضية واضحة قد تغيّر، ولن يبقى شيء على حاله.

لعل هذا تأثير الصدمة فحسب.. هذا ما راحت تقوله لتخفف عن نفسها، فهي لم تتوقع ذلك، خاصة بعد أن استسلمت للفشل. ومن الطبيعي أن تصعقها موافقته، ولكن سرعان ما ستحسن حالها.

ـ هل نذهب؟

وترك مرفقها ليخرج من جيبه مفاتيح السيارة بينما بللت هي شفتيها بلسانها، شاعرة بدفء الاحتكاك بينهما يتبدد، تاركاً جسمها بارداً كالثلج.

ارتجفت منشنجة وهو يسير أمامها إلى السيارة التي بدت أكثر رثاثة وعجزاً بين السيارات الفخمة اللامعة. وأدركت أن عليها أن تقول شيئاً يعبّر عن شكرها بدلاً من هذا الإحساس الغريب، بأنها واقفة على رمال متحركة.

لكنه وفّر عليها عناء محاولة العثور على شيء لائق تقوله، لأنه، حالما انطلق بالسيارة، قال لها: «سآخذك إلى البيت، لأنني أتوقع أن تخبري أمك وخالتك بالأمر بعد عودتهما من العمل. ولكن كيف ستبرّرين لهما هذه المفاجأة؟ عليّ أن أستعد للاحتفال الذي سنقوم به... لا أظنك تتوقعين حفلة زفاف كنسية أليس كذلك؟ فليس لدينا الوقت الكافي لهذا، حتى وإن كنت تريدين ذلك. من الأفضل أن يكون الزواج مدنياً. خاصة وأنه قصير الأمد. لذا من النفاق أن نتبادل العهود الدينية ونحن لا ننوي الوفاء بها. أليس كذلك؟».

ـ نعم، طبعاً.

لقد أدهشها فرط إحساسه، وتساءلت عن سبب ذلك، فهي لم تكن تعلم شيئاً عن مزاياه، باستثناء شهامته مع أمها عندما كانت

بحاجة إلى العون. وهذا يعني أنه سجل نقطتين لصالحه. استجمعت شجاعتها لتطرح عليه السؤال الذي قد يجعلها ثلاث نقاط.

سمّرت عينيها على الطريق أمامهما، ثم سألته: «وهل تقبل بأن يكون زواجنا صورياً؟».

ألقى عليها نظرة جانبية. كانت تبدو متوترة فيداها تعبثان بحزام مقعدها.

ثم أجابها ببساطة: «طبعاً، فشرطك واضح وصريح».

وأضاف في قرارة نفسه: صوري فقط يا حبيبتي حتى تغيري رأيك! وصدقيني لن يطول الأمر. وسأكافح في سبيل ذلك حتى الرمق الأخير.

عادت عيناه تتسمران على الطريق أمامه، وقد شعر بتوترها يتبدد قليلاً. لكن الطريق أمامه طويل. فهذه البداية فقط. لقد خطت هي الخطوة الأولى نحو الثقة به ويجب أن تتعلم بعد ذلك أن تعجب به، ومن هذه النقطة يبدأ كل شيء.

ـ شكراً.

قالت ذلك ببساطة وقد استرخت أصابعها فوق حزام المقعد، واحتفظت بالصمت بقية الرحلة. لكن جيثرو كان يعلم أن ذهنها كان مشغولاً. فبعد سرورها بهزيمة عمها وعثورها على طريقة تنفذ بها الشرط، عليها أن تخطط للمستقبل وتجد ما تقوله لأمها وخالتها عن سبب تهورها بالاستعجال بالزواج.

أدرك ما يجول في ذهنها من دون أن تنطق بحرف. لم يحدث قط، من قبل، أن انسجم مع إنسان إلى هذا الحد.

كانت أليسا برانان المرأة المناسبة له، نصفه الثاني. ولا بد أنه

شعر بذلك في عقله الباطن منذ رآها للمرة الأولى. واعتصر قلبه. يا لجهنم! سيكون من الصعب عليه الالتزام بشرطها.

لحسن الحظ أنه حكيم بما يكفي لينتظر الفرصة المؤاتية. هو يعلم أنهما متلائمان تماماً ولكنها هي تجهل ذلك. ويمكنه أن ينتظر، فهو يحصل دوماً على ما يريده في نهاية المطاف.

عندما توقف «الڤان» أمام بيت فران، حاولت آكي أن تبعد أفكارها التي كانت تشغل ذهنها، شاعرة بالخزي، لأنها لم تقل له كلمة واحدة منذ أثلج قلبها ووافق على التزامه بشرطها. لقد باعها سنة من حياته، وكل ما فعلته أثناء الدقائق العشرين الماضية هو تجاهلها له.

ـ ادخل لتتناول الغداء معاً.

أدهشها هذا الدافع المفاجيء للتكفير عن خطئها. لماذا تشعر بالذنب ما دامت تدفع له مبلغاً جيداً مقابل دوره في.. هذه الصفقة؟ فهي صفقة بكل ما للكلمة من معنى. ولكن ثمة أمور كثيرة عليهما أن يناقشاها.

ـ علينا أن نرتب أمورنا.. لن تعود أمي وخالتي من العمل قبل الخامسة والنصف. وسيتسنى لنا الوقت الكافي للتحدث معاً كما أنني أريد أن أعطيك الشيك.

كانت قد فتحت باب السيارة وترجلت منها عندماأخذ قلبها يخفق بسرعة، لضخامة ما هي مقدمة عليه. فهي تريد أن تستعيد «ستدلي» لأجل أمها! ووحده جيثرو كول سيساعدها ولهذا فهي مدينة له بغداء.

ـ آسف، ولكن عليّ أن أعتذر.

أذهلها رفضه وجعلها تعود إلى مقعدها وهي تميل برأسها وتنظر

إليه بارتباك هذا الرجل الذي أمضى معظم أيام الأسبوع الماضي متسكعاً حولها، رفض دعوتها له. ولو أنه بحاجة إلى المال إلى الحد الذي يبدو عليه، لكان أكثر لهفة لوضع يده عليه فالمال هو السبب الوحيد الذي جعله يقبل

مال نحوها وقد لاحظ التقطيب الذي ظهر بين عينيها الزرقاوين الرائعتين، وتابع قائلاً «علي أن أعثر على مكتب تسجيل عقود الزواج، وأحدّد موعداً للاحتفال، فأنا لا أعرف نظام العمل في هذه المكاتب، ولا أريد المجازفة بألاّ أجد موعداً مناسباً. كما سنحتاج إلى شهادات الميلاد. هل شهادة ميلادك هنا أم في لندن؟».

مرت لحظة بدت فيها وكأنها لا تفهم عما يتحدث ثم أومأت مجيبة «إنها هنا، تحتفظ أمي بالأوراق الرسمية في صندوق، في غرفة نومها»

تنهد بارتياح. من السهل عليه أن يحصل على شهادته.. يكفي أن يتصل بمساعده الشخصي «جايمس أبوت» ليذهب إلى بيته في حي «مايفير» حيث الخزانة التي يحتفظ فيها بأوراقه الشخصية. ولكن لو كانت أوراقها هي في لندن لأدى ذلك إلى تأخر بداية حياتهما معاً.

امتثلت آلي لطلبه على مضض وهي تجد عذره منطقياً، ولكنها لم تشعر بالارتياح إلى ذلك، فمع أن الخطة خطتها، إلا أنه وحده من يصدر الأوامر.

عادت وفي يدها المستند. العرس عرسها أيضاً، وعليها أن تشارك في تحديد موعد الاحتفال. ستذهب معه. أيعقل ألا يأخذ برأي العروس في قرار كهذا؟

وإذا بها تتوقف فجأة في منتصف الردهة وقد علا الاحمرار

خديها لن تكون عروساً بكل ما للكلمة من معنى. فلماذا تراها تتساءل عما قد يحصل إن أصبحت عروساً حقيقية لمريس بجاذبية جينرو كول؟

حاولت، عبثاً، أن تهدىء من خفقان قلبها وتطفىء النيران المستعرة داخلها بينما كانت متوجهة إلى حيث ينتظرها في «القان» فتحت باب السيارة وقالت «سآتي معك، علينا أن نحدد الموعد معاً»

كان توتر ذقنها يدل على عنادها، إلا أنه طغت عليه النظرة المتلهفة المرتبكة في عينيها، والتوهج في وجهها.. تلك المرأة الباردة المتحفظة التي تحذر نظراتها الرجال من الاقتراب منها، تحولت في تلك اللحظة إلى كتلة إحساس ومشاعر

تملكه إحساس بالبهجة، لكنه عاد وذكّر نفسه بأن الوقت ما زال مبكراً. صحيح أن مظهرها البارد المتحفظ تصدع بعض الشيء، ولكن عليه أن يوسع ذلك الصدع برفق حتى لا يتسنى لها أن تتراجع

كان قرارها بمرافقته طبيعياً تماماً فتملكه الإغراء لحظة لحظة واحدة، وشعر برغبة جامحة في أن تبقى إلى جانبه ولا تغيب عن ناظريه أبداً، لكنه قال لها «الأفضل أن تبقي هنا وتفكري في ما ستقولينه لأمك، لا أظن أن فكرة تخليك عن مدخراتك بأجمعها، وارتباطك برجل غريب في سبيل إسعادها فحسب، قد تروق لها»

ومال نحوها يأخذ منها المستند ثم أدار محرك السيارة مضيفاً:

- فكري ملياً في الموضوع وسأحضر عند السابعة مساء لمناقشة الأمر بقي أمر آخر.. إياك أن تعطيني المال مقدماً.. فما أدراك ما قد يحدث؟ سآخذ منك النقود، ولكن بعد أن نوقع معاً على عقد

الزواج.

ثم ابتعد بالسيارة، تاركاً إياها واقفة على الرصيف، كارهاً ما فعله، فقد أصبح إصدار الأوامر الاستبدادية للآخرين جزءاً من نجاحه في إدارة أعماله. إنها طبيعة ثانية فيه. ولكن معاملتها هي بالذات بهذه الطريقة، تركت في فمه طعماً مراً.

إلا أنه لم يجد بداً من ذلك، فعليه أن يتصل «بجايمس أبوت» ويدعو المربية بريغس وزوجها هاري ليرقصا في عرسه شرط أن يكتما هويته ولا يظهرا أي دهشة إن دعتهما آلي جدي وجدتي!

كما عليه أن يقنع هاري بأن يدعه يستعير منه هذا «الڤان» المتداعي ويرتب أمر ركن سيارته «الجاغوار» في مكان آمن إلى أجل غير مسمّى، وأن يتصل بالبستاني ومدبرة المنزل في بيته الريفي ويخبرهما بأن يأخذا إجازة لمدة أسبوعين.

عليه المضي بقصة الفقير الضعيف العاجز. فإن علمت بشخصيته الحقيقية، وبأن المبلغ الذي ستقدمه إليه لا يكاد يزيد عن «الفكة» التي يضعها في جيبه، فستدرك أن لديه سبباً خفياً يدفعه إلى الموافقة على الزواج بها مقابل المال وعندها ستنهي كل شيء سواء حصلت على «ستدلي» أم لا.

وقطع على نفسه وعداً بألاّ يحصل ذلك.

* * *

٥ ـ العاشقان المزيفان

لم تتأخر لورا في العودة إلى المنزل. كانت آلي قد راقبت جيثرو يبتعد وقد تملكها شعور بالهجر، لا مبرر له. وأمضت بعد ذلك نصف ساعة وهي تحاول التحرر من تلك الحالة النفسية السخيفة، التي جعلتها تركز أفكارها عليه بدلاً من البحث عن طريقة مناسبة لإخبار أمها عن زواجها من رجل حسن الشكل بعمل منظف نوافذ.

وصلت أمها ولم يكن لدى آلي أي فكرة عن كيفية جعل خبر زواجها مقبولاً.

قالت لورا وهي تجلس على كرسي وتزيح خصلة شعر عن جبينها: «لقد أرجأت عملي في منزل السيدة «تومبسون»... لم تكن مسرورة مني ولكنني أدركت فجأة بأنه ليس من العدل أن أدعك بمفردك في البيت، بينما أعمل أنا طوال اليوم. خصوصاً وأنك أخذت إجازة طويلة لتمضي بعض الوقت معي. ما رأيك لو نقوم، عصر هذا اليوم، بشيء ما معاً. قد نجول على المتاجر، إذا أحببت، أو نذهب إلى السينما. ولكني أود أولاً أن أشرب فنجان شاي.

تشبثت آلي بهذه المهلة المؤقتة، واستدارت لتضع إبريق الشاي على النار وتعد صينية الشاي. بدت أمها شديدة الإرهاق... صحيح أنها بلغت الواحدة والأربعين إلا أنها لم تكن ضعيفة البنية، ولا تعدّ

عجوزاً على الإطلاق. لكن التعب النفسي هو الذي يثقل كاهلها، فهي تكدح في العمل لتؤمن لقمة عيشها، ويبدو أنها لا ترى بصيص أمل.

حسناً، سيتغير ذلك كله قريباً... سكبت آلي الماء المغلي على أوراق الشاي وفي صدرها رغبة ملحة لإخبارها بأن كل شيء سينتهي على ما يرام. ولكنها كبحت جماح نفسها، لتظهر لها أن الحصول على ستدلي مسألة ثانوية.

لم يسبق لآلي أن كذبت على أمها من قبل، ولكنها مضطرة إلى ذلك الآن. لقد أصاب جيثرو حين قال إن الحقيقة لن تروق للورا لأن أمها إنسانة شاعرية وعاطفية. ومنذ نعومة أظافرها أدركت آلي أن والديها يعيشان بعيداً عن الواقع.

وإن علمت أن ابنتها تتزوج من أجل الفائدة المادية فحسب، حتى ولو كانت تلك الفائدة قصر ستدلي، فستجد ذلك مريعاً.

وإن أدركت الثمن الذي اضطرت ابنتها لدفعه لتعيد لها القصر، فلن تشعر بالسعادة فيه أبداً.

سكبت الشاي في الفناجين، ووضعت البسكويت في الطبق. لم يعد لديها عذر للتأجيل. وتنحنحت آلي بتوتر، ثم قالت وهي تتجنب النظر في عيني أمها: «أريد أن أخبرك شيئاً».

- هل هو خبر جيد؟

قالت لورا ذلك وهي تقضم قطعة بسكويت وتحرك السكر في شايها. كان بإمكانها أن تأكل ما تشاء من دون أن يزيد وزنها، وقد ورثت آلي عنها ذلك. لكنها في تلك اللحظة، حسبت أنها لن تذوق طعم الأكل مرة أخرى.

- أظن ذلك!

قالت آلي هذا محاولة أن تتظاهر بالسعادة التي ينبغي أن تغمر العروس. لكنها أدركت أنها فشلت في ذلك بشكل محزن إذ قالت لها أمها: «لا يبدو الأمر كذلك من حيث أجلس، أشعر وكأنك على وشك الاعتراف بأنك كسرت كل الأطباق الصينية الفاخرة التي تملكها خالتك فران».

لم يكن من السهل عليها إعلان الخبر، لذا مطّت آلي فمها بشكل ابتسامة وقالت: «سأتزوج».

- تتزوجين؟

كررت لورا ذلك وهي تعيد قطعة البسكويت الثانية إلى الطبق.

- أنت؟ لكنك لطالما قلت إن الزواج والاستقرار هو آخر شيء تريدينه.

وتسمرت في مكانها وهي تضيف قائلة: «هل لذلك علاقة بالشرط الأحمق الذي وضعه عمك في وصيته؟ عندما أخبرتني أنك ستجدين وسيلة لاستعادة بيتنا القديم، ظننتك ستتشاورين مع المحامي للطعن في الوصية لسخافة ذلك الشرط».

وحملت لورا فنجانها الفارغ إلى حوض الغسيل.

- ولكن إن كنت تفكرين بتغيير رأيك والزواج لأعود أنا إلى قصر ستدلي، فانسي الأمر. أقسم لك ألاّ تطأ قدماي ذلك المكان إن أنت فعلت ذلك.

وأخذت تغسل الفنجان بعنف تحت الماء المتدفق، حتى أنها، لم تسأل عن هوية العريس. هذا كان رأيها في رغبة ابنتها المفاجئة في الزواج.

تقدمت نحو أمها تحتضنها، وهي تتظاهر بالضحك قائلة: «هل أنت مجنونة؟ أعرف كم تحنين إلى ذلك المكان القديم، ولكن لتعودي إليه علينا أن نتخطى بعض الحدود وبيع نفسي هو أحدها».

كانت تكره الكذب على أمها أشد كره! ولكن هل من خيار آخر إن كانت سعادة أمها المسكينة، في مستقبل برضيها، على المحك؟ ولكنها لم تكذب على الأقل بالنسبة إلى بيع نفسها لأن جيثرو لن يضع إصبعاً عليها. فهذا جزء من الاتفاقية.

ولن تكتشف لورا قط أن ذلك الزواج كان مؤقتاً، ومجرد عقد عمل. أما بالنسبة إليها، فارتباطها بجيثرو لمدة عام سيزعجها بعض الشيء، ولكنه ثمن بسيط عليها أن تدفعه.

أدركت أن كلماتها قد أثارت شكوك أمها حين نفضت هذه ذراعي ابنتها من حولها ثم استدارت إليها بحزم: «إن أخبرتني بأن الزفاف سيقام خلال الأسابيع الثلاثة القادمة، فسأدرك أنني كنت على صواب. انظري إليّ وأخبريني أن هذا غير صحيح».

فقالت آلي تتصنع السخط: «إنه طبعاً صحيح. أردنا أن «نصيب عصفورين بحجر واحد». كان بإمكاننا أن ننتظر قليلاً، حتى يتسنى لنا الوقت لحفلة زفاف كبيرة، ولكن علينا أن نتزوج قبل عرضي القادم. وقررنا أن يكون الموعد خلال الأسابيع الثلاثة فيجتمع شملنا نحن وبحصلين أنت على «ستدلي»، ونسعد جميعاً، ما عدا فابيان الذي سينظر إلينا من قبره ويصرّ على أسنانه!».

ـ من هو سعيد الحظ إذن؟ هل أعرفه؟

لم تكن لورا قد اقتنعت كلياً، ولا شك أن الشكوك ستتملكها عندما تعلم هوية صهرها العتيد. قالت آلي أخيراً: «طبعاً تعرفينه. إنه

جيثرو كول».

ثم تملكتها الحيرة لأنها رأت الشكوك تبتعد عن وجه أمها.

ـ منظف النوافذ؟

سألتها هذا وكأن ثمة رجلين يحملان الإسم نفسه.

ـ هو بنفسه. لا تقولي إنه لا يليق بي لأنه منظف نوافذ.

وإذ خطرت على ذهنها صورة لها ولجيثرو يتعانقان بشغف، تصاعدت الدماء إلى وجهها. ولكنها جعلت أمها في موقع الدفاع بدلاً من الهجوم. لأن لا أحد يتهم لورا برانان بالتكبر، ويفلت من العقاب.

ـ لا، طبعاً! فأنا لا أحتقر أبداً العمل الشريف مهما كان نوعه. لكنني حسبتك تعرفينني أكثر من ذلك. من مجرد النظر إليه يمكنك القول إن طموحه أقوى من معظم الرجال، وقد ينتهي به الأمر إلى إنشاء امبراطورية تنظيف النوافذ.

ـ كما أنه جذاب جداً.

قالت آلي ذلك وهي تتساءل من أين أتتها هذه الكلمات. ولماذا؟ ولكن عقلها الباطن نبهها إلى أنها ضرورية، لأنها لأول مرة منذ ألقت قنبلتها تلك، التمعت عينا أمها، قائلة بجفاء: «لاحظت ذلك إذن. كنت أعلم أنه معجب بك من تكرار زياراته لنا بعذر، أو بدون عذر، ومن عدم قدرته على رفع نظره عليك. لكنك كنت دوماً تضعينه في مكانه، وفي المرة الأخيرة التي رأيته فيها أشفقت عليه فنصحته بألاّ يضيّع وقته لأنك لا تحبين الرجال».

هذا هو إذن سبب اعتقاده بأنها شاذة، وليس كما ظنت، غرور الرجل فيه. وشعرت ببهجة غريبة، فهو لم يتكلم بدافع غباء الرجل

الذي يظن المرأة التي ترفض مشاركته فراشه شاذة

- ما الذي جعلك تغيرين رأيك فيه فجأة؟

- التقينا هذا الصباح وذهبنا معاً لتناول القهوة، ثم

آه، رباه! لن تقتنع لورا أبداً بأنها وقعت في غرام رجل عرفته لأسبوع كانت خلاله، تعامله بجفاء.

ثم، جاءها الإلهام من حيث لا تدري، وتابعت تقول. «لا أدري إن كنت ستصدقين هذا. لكنني أدركت فجأة أنه الرجل الوحيد في العالم الذي يهمني أمره».

لم تكن تكذب أبداً. فقد أصبح جيثرو الرجل الوحيد الذي يهمها أمره لأنها لا تعرف رجلاً غيره يقبل أن يبيعها سنة من حياته. وإذ مست وتراً حساساً، أخذتها أمها بين أحضانها، وهي تبتسم ملء فمها: «ولماذا لا أصدقك؟ هذا ما حدث بالضبط بيننا، أنا وأبيك».

* * *

بعد مرور عدة ساعات، سألت آلي أمها: «هل وجدت الكؤوس؟ سيصل جيثرو بين لحظة وأخرى».

- إنها في المطبخ! وضعت الشراب في الثلاجة، هل أخرج إلى الدكان لأحضر شيئاً نتناوله مع الشراب؟

جعلت الإثارة لورا كفتاة صغيرة. لقد وقعت ابنتها أخيراً في الغرام وستتزوج برجل يعجبها هي وأمها، وفوق ذلك ستتمكن من العودة إلى قصر ستدلي من جديد، وتحاول تحقيق حلمها بإنشاء دار حضانة للأطفال.

- لا، لا داعي لذلك. سنشرب كأس شراب، ونخرج بعدها أنا وجيثرو. لأننا نريد أن نقضي الأمسية وحدنا

قالت هذا بحزم وهي تضغط بأصابعها على جبينها المتألم فشخرت فران التي كانت جالسة عند النافذة تقرأ صحيفة المساء، باستهزاء.

عليها أن تبعد جيثرو من هنا وتعود إلى شخصيتها العادية، هادئة، منضبطة، متحفظة. فلم تعد بحاجة إلى تمثيل أي دور لأجله.

كانت مسرورة لتغلبها على هذا الموقف. فلورا تحسبها قد وقعت في شباك جيثرو، الذي أعجبها منذ البداية، منذ حملها على الرصيف، وكانت سعيدة بذلك، وعند العصر خرجنا معاً إلى السوق، واختارت آلي شيئاً تلبسه في الاحتفال، إذ ادعت أن ليس لديها شيئاً مناسباً وحذت لورا حذوها

عندما لاحظت آلي فرحة أمها وهما تجربان القبعات على رأسيهما، أدركت أنها كانت على صواب. كان من الصعب عليها أن تتظاهر بالاهتمام وتناقش المقارنة والأفضلية بين طقم قصير كلاسيكي من الحرير القاتم الزرقة وثوب بسيط من الكتان البرونزي اللون فوقه جاكيت مستقيمة، فهي تعلم أن أي شيء قد يكون مناسباً شرط ألا ترتدي سروال جينز وقميصاً مقفلاً.

ولكن ما ينتظرها هو أن تلعب دور العاشقة أمام فران الساخرة ولورا الشغوف. فأخذت راحتاها تتضحان عرقاً وقلبها تتسارع خفقاته مع اقتراب موعد وصوله.

وضعت فران جريدتها جانباً ونظرت إلى ساعتها: «لقد تأخر».

فقال لورا بجفاء: «عشر دقائق فقط».

فهي لم تصفح لها، بعد، عن ردة فعلها تجاه النبأ. إذ قالت بحدة:

ـ فليكن الله بعوننا يا آلي. هل جننت؟ إنك لا تعرفين هذا الرجل جيداً، وربما سمع عما تكسبينه من مال. أظنه سيحوم حولك سنتين، وينتزع منك ما يستطع انتزاعه، ثم ينبذك. لا شك أنه ينبض بالرجولة. ولكن ليس من الضروري أن تتزوجيه.

مرت الدقائق ببطء مؤلم، وآلي تعلم أنه إن لم تتوقف فران عن النظر إلى ساعتها كل ثانية، ووالدتها عن تسوية الوسائد وإصلاح الستائر من حين إلى آخر، فستنفجر غضباً.

وفجأة، ازداد توترها، وشعرت بالهزيمة. لن يأتي لقد هرب، وبدد آمالها كلها.

ولكن عندما دخل المنزل بطلّته الوسيمة، بلغ منها الارتياح مبلغاً فابتسمت له مرحّبة بشكل تلقائي.

كان أنيقاً للغاية بقميصه الأبيض المقفل الذي يبرز تفاصيل صدره الرحب، ويعكس سمرة بشرته، وبدت ساقاه أكثر طولاً في بنطلونه الجينز الأسود المرتب.

ومع أنه انتبه إلى نظرات فران الباردة إلا أنه لم يأبه لها وتقبل عناق لورا وتهنئتها، بظرف وكياسة بدت طبيعية فيه، ثم تقدم إلى آلي، التي كان قلبها يخفق بشدة بين ضلوعها حتى يكاد كل من في الغرفة يسمعه.

ـ هل افتقدتني، يا حبيبتي؟

كانت لهجته الرقيقة العذبة تقطر ثقة بالنفس، ومدّ يده الضامرة، بشدّ خصرها النحيل إلى جسمه الدافىء، فأخذ قلبها يخفق ذعراً.

لم يكن من بد من هذا التماس بينهما، لا سيّما أنهما في الغرفة نفسها مع أمها وخالتها. ولم يسعها سوى الابتسام، مرددة في نفسها

بأنه يؤدي دوره، وأن ذلك اللمعان الخبيث في عينيه مرده إلى الشيك الدسم الذي سيقبضه.

كانت قد قررت أن يغادرا المنزل فور ارتشافهما العصير الذي أصرت لورا على تقديمه. لكن ذلك كان قبل أن يعاقبها.

فقد أمسك ذقنها بأصابع حازمة ورفع وجهها، وقبل أن تدرك ما يجري انحنى يعانقها.

شهقت آلي التي شعرت بأحاسيس ملتهبة تسري في كل ذرة من جسمها سريان النار في الهشيم. وإذ رآها تتراخى بين ذراعيه، ضمها إليه بقوة فشعرت برأسها يدور، وساقيها تترنحان. ولم يكن أمامها سوى أن تتشبث به، وتحيط عنقه بذراعيها.

ـ عصير، يا عزيزيّ.. أم تراكما حلّقتما فوق السحاب؟

أخذت آلي تفكر، مشوّشة الذهن، بالعصير الذي أعدته لورا، وهي تقاوم الرغبة بإبعاده عنها.. لم تعلم ما الذي تملكها..، لم تتصور يوماً، أنها قد تسمح لأي رجل ما بأن يقترب منها بتلك الطريقة التي تعرضها للوقوع أسيرة سحره. ولا يجوز أبداً أن تعرض آلي برانان نفسها لهذا النوع من الأخطار.

لكن الأمر لم يكن عادياً، إنه مجرد تمثيل. ومن الضروري أن تؤدي دورها بمهارة حتى تصدق أمها نسيج الأكاذيب الذي نسجته. أما المشاعر التي ساورتها لحظة عناقه لها فليست سوى ردة فعل للتوتر الذي تملكها طوال هذا النهار، ولاعتقادها لدقائق خلت أن جيثرو خان الصفقة.

قالت لورا: «هلا سكبت العصير يا جيثرو؟ فأنا لست ماهرة في ذلك».

ثم ناولته إبريق العصير ولكن فران نهضت عن كرسيها، قائلة بجفاء:

- دعيني أهتم بالأمر، فيداه مشغولتان بأشياء أخرى. من المؤسف إفساد أحلام الحب الغضة التي لا تصمد، عادة، لمدة أطول من شهر العسل.

كان من الأسهل لها أن تتجاهل تعليق خالتها اللاذع، أكثر من ضغط يد جيثرو على ظهرها، وهو يشدّها إليه.

دفعته عنها خلسة، ثم مدّت يداً مرتجفة إلى الكوب قائلة:

- رشفة واحدة تكفي يا فران.

عليهما أن يغادرا المكان، وبسرعة، حتى يتوقف عن ملامستها ومعانقتها. فتقف عندها على أرض صلبة، ويتبدّد الضباب المزعج من أمام ناظريها، ففي تلك اللحظة كانت تشعر وكأنها ترى الأشياء من خلال ستارة متأرجحة.

- وقطرة واحدة لي، أيضاً.

قال جيثرو ذلك بأسف، فتنهدت آلي بارتياح، لأنه، أراد بدوره الانتهاء من هذه التمثيلية المفروضة عليه، ثم تابع قائلاً: «فأنا لم أتناول شيئاً منذ الفطور».

- أواه، يا آلي! كيف أمكنك هذا؟ قلت لي إن جيثرو لن يشاركنا العشاء.

ثم توقفت لورا عن تعنيف ابنتها والتفتت إلى صهر المستقبل وهي تبتسم له بحنان الأم قائلة: «سأعد لك العجة. أتفضلها بالفطر أم بالجبن؟».

شعر بجسم آلي اللين يتصلب بجانب جسمه، وسمع صوت

أنفاسها المتسارعة التي ما لبثت أن توقفت. وأحسّ برغبة جامحة بقبول هذا العرض. فإن أطال زيارته، فستجد آلي نفسها مرغمة على الاستمرار بلعب دور زوجة المستقبل العاشقة أمام أسرتها.

فقد أثار عناقه لها مشاعره، وأضرم احتضانه لجسمها البديع وإحساسه بأنوثتها البالغة، النيران في عروقه. كان الجمال في هذا تجاوبها معه، واسترخاءها بين ذراعيه والانتفاضة المفاجئة اللاشعورية التي أحس بها من خلال احتكاك جسديهما. لكنه اكتفى بذلك في الوقت الحالي، وإن سعى للمزيد فستكرهه.

أمسك بيديها، وقال بابتسامة رقيقة: «شكراً يا لورا، لكننا، أنا وآلي، سنتناول طعاماً خفيفاً في المدينة».

وزال التوتر عن وجهها الناعم، واسترخى فمها الجميل بابتسامة صغيرة، وكان في هذا تعويض كافٍ له.

ثم أضاف ببطء، وبطريقته الماكرة في الأخذ بالثأر: «علينا أن نناقش أموراً كثيرة. فقد حصلت على رخصة خاصة، وسيقام الزفاف غداً عند الثالثة عصراً».

وإذ رأى الذهول يلف الجميع، نظر إلى الأم والخالة بعينيه الذهبيتين الضاحكتين وقال: «أرجو أن تساهما في نجاح هذا الحفل، وتباركا سعادتنا عندما نعقد القران».

* * *

٦ ـ خائفة من شيء ما

سألته بارتياب: «هل أنت واثق من أن هذا الشيء سيوصلنا إلى هناك؟».

وضمّت حولها تنورة طقمها الأزرق القصيرة التي تزوجت بها، لتتمكن من الصعود إلى سيارة «الڤان» القديمة المحزنة الشكل لم تكن ترغب في الذهاب في رحلة شهر عسل زائف أو حتى قضاء الجزء الأول منه في سيارة متداعية في مكان منعزل.

حوّل جيثرو عينيه عن ساقيها الطويلتين وهو يتأوه. إنه يوم زفافه، وهذه السيدة الرائعة الجذابة هي عروسه، مع أنها لا تنظر إلى الأمر من هذا المنظار، لكنها ستفعل ذات يوم وهو يقسم على ذلك

ـ لعلها متداعية ولكنها صالحة للاستعمال.

قال جيثرو ذلك بصوت مختنق إذ كانت تدور في داخله معركة شرسة مع مشاعره الجامحة.. عندما طلب جيثرو من هاري أن يستعير «الڤان»، سأله، وقد تملكته الحيرة، عما يدفعه لأخذ الفتاة المسكينة في رحلة شهر العسل في تلك السيارة المتداعية بينما سيارته «الجاغوار» الجديدة يلفها الغبار؟

وسألته المربية بريغس بدورها «لماذا هذه العجلة في الزواج؟ ولماذا تخفي شخصيتك الحقيقية؟ ولماذا تدعي أنني جدتك؟ هذا لا

يعجبني، يا سيدي الصغير.. تبدو لي مخادعاً، وأنا لم أعهدك كذلك من قبل».

لكنهما أحسنا التصرف أثناء الاحتفال المدني القصير. أما لورا، فكانت تبدو مغتبطة للغاية، وهي تكفكف دموع الفرح من عينيها. وحدها فران كانت تصدر الملاحظات اللاذعة، فتساءل عمّا دفعها لحضور الاحتفال وجلّ ما فعلته هو السخرية.

بعد أن انتهى الاحتفال، وضعا الحقائب في الجزء الخلفي من «الڤان»، وانطلقا معاً لقضاء أغرب شهر عسل في التاريخ.

وانطلقا بالسيارة، وسمع آلي تتنهد، فاعتصر الألم قلبه. كان يحلم بعرس حافل ليفتخر أمام العالم كله بعروسه الرائعة الجمال، بدلاً من عقد زواج مدني لم تتعدّ مراسمه بضع ثوانٍ.

كم تمنى أن يهرب بها إلى جزيرة منعزلة ويغرقها بالهدايا، ويرويها من نبع حبه العميق. وكم تمنى أن يطوّق عنقها الجميل بالماس، ويزين أصابعها بالخواتم الثمينة والذهب. فذلك المحبس النحاسي زهيد الثمن ويرى فيه إهانة لجمالها الرائع، وإنكاراً محزناً لقيمتها لديه.

ولكنه أراد منها أن تحبه لذاته وليس لممتلكاته، ولتحقيق هدفه، عليه أن يتحلى بالصبر، كما كانت مربيته بريغس لتقول.

ـ ليس من الضروري أن نذهب في شهر عسل.

دلّت نبرة صوتها على أن الإثارة التي شعرت بها عندما عانقها وضمها بين ذراعيه الليلة الماضية، أصبحت من الماضي. ثم أضافت قائلة: «كان لطفاً من صديقك أن يعيرنا كوخه الريفي. ولكن بما أننا لن نمضي شهر عسل بكل ما للكلمة من معنى، فلا أرى ضرورة

لذلك. ما رأيك لو نذهب إلى لندن؟ لقد اتفقنا على استعمال شقتي طوال مدة زواجنا. كما علينا الاتصال بمحامي فابيان لإعطائه شهادة الزواج».

فأجابها بثقة: «أمامنا وقت كافٍ لهذا. يمكنك أن تتصلي هاتفياً من الكوخ لتحديد موعد. أمامك ثلاثة أسابيع لتلوحي في وجهه بالأوراق مطالبة بميراثك».

وتمقع المحرك وهو يشق طريقه نحو الطرق الجانبية، فهو لن يتجه أبداً نحو بيتها في لندن.

الليلة الماضية، وبعد مغادرتها المنزل، راحت تصف له شقتها الصغيرة المؤلفة من غرفة نوم شبيهة بالخزانة، وغرفة جلوس فيها أريكة تصلح سريراً يمكنه أن ينام عليها. ففي المناسبات النادرة التي كانت تأتي فيها أمها لزيارتها كانت هي نفسها تستعملها. ولكنها غير مريحة بعض الشيء.

قلما يهمه أن يعيش في شقة صغيرة، وينام على فراش قاس، طالما سيكون معها، وإلى جانبها. ولكن عند عودتهما إلى لندن، ستحاول أن تتغيب قدر الإمكان. كان يعلم أنها ستفعل ذلك، فما إن ينتهي عملها مع المحامي، حتى تهرع لتناول الغداء مع وكيلة أعمالها، وقبل أن يعي هو ما يحدث، تكون قد رحلت إلى آخر الدنيا لعرض الأزياء، مبتعدة، قدر الإمكان، عن زوجها غير المرغوب فيه لكنه لسوء الحظ زوج ضروري.

كان بحاجة إلى أسبوعين بمفردهما، حتى تغير رأيها بالنسبة إلى دوره في حياتها. وما أن يحقق مآربه بنجاح، ستكون أريكة النوم تلك والحياة المنفصلة آخر ما تريده.

- فكري في الأمر. لقد سبق أن أخبرت أمك أن زميلاً لي في المدرسة قدم لنا منزله الصيفي في الريف، لنقضي فيه أسبوعين. ولا تنسي أنها أخذت مني رقم الهاتف. وإذا حاولت الاتصال بنا ولم يرد عليها أحد، فستساورها الشكوك لتكتشف لاحقاً أننا أهملنا فرصة قضاء شهر العسل منعزلين في الريف.

أقرّت آلي، بأنه على صواب، وتملكها الخوف. عليهما أن يتجنبا كل ما قد يثير ارتياب أمها بشأن دافعها الحقيقي للزواج به. وذلك حتى تعود لورا إلى «ستدلي» بسلام. فبعد مرور عام قد تصدق أن زواجهما لم ينجح.

كانت (المزلة الريفية) هي التي تخيفها.. ففي لندن، يمكنها أن تبتعد عنه معظم الوقت، فتعود إلى مزاولة عملها وتنشغل به عنه، وتتحمل مسؤولية نفسها من جديد. إذ منذ اتفقا على الزواج، وهو يتولى زمام الأمور فقد أسرع بعقد الزواج، مخبراً لورا بأن لا فائدة من المماطلة ما داما يعلمان أنهما سيمضيان حياتهما معاً. واتصل بزميل قديم له ليطلب منه أن يعيره منزله الريفي لأن وضعه المادي لا يخوله قضاء شهر عسل في فرنسا أو الجزر الكاريبية.

- هل هو منعزل كلياً؟

سألته ذلك، وهي تحاول أن تطمئن نفسها بأن ليس هناك ما يدعوها للارتياب لأنهما اتفقا على إبقاء الزواج صورياً، ولا تظنه قد يحاول شيئاً معها، ولكن استسلامها المفاجيء لعناقه هو سبب توترها البالغ.

فأجابها بمرح: «لن يقلق راحتنا سوى زقزقة العصافير ورفرفة الفراشات وطنين النحل».

فأخذ قلبها يخفق بعنف، وهي تسأله بيأس: «ألا تشعر بالسأم

البالغ حين لا تجد شيئاً تعمله؟».

وارتجفت وسرت قشعريرة في جسمها عندما التفت ليرمقها بنظرة قصيرة مدمّرة، وقد التوى فمه وبان المكر في عينيه، ثم قال لها بلطف: «سأجد ما أفعله. ويمكنك أن تراهني على ذلك».

وجدت أنه من الحكمة ألا تتفوه بكلمة أخرى بقية الرحلة. لم يكن، في الواقع، يعني شيئاً رغم أن نظرة من عينيه كانت تدعوها إلى أحضانه. كان يغيظها فحسب، مازحاً مرفهاً عن نفسه على حسابها.

تمنت ألا يستمر على هذا المنوال خلال الأسبوعين القادمين، فهي قد تجن إن فعل. واخترق الصمت بقوله: «كدنا نصل».

كانا يهبطان تدريجياً مرتفعاً شديد الانحدار ويجتازان طريقاً وعرة يحدها صفّان من الشجيرات تكاد تنعقد فوق الرؤوس، حاجبةً نور الشمس. إنها حدود إقليم «وايلز» الريفية حيث تطير الغربان. بدا الريف شاعرياً حقاً.

لم تشأ أن تفكر في الشاعرية، لكنها لم تستطع منع نفسها من ذلك وقد وجدا نفسيهما أخيراً أمام سور حديقة مرتفع له مدخل مقنطر، لاح منه جزء من كوخ حجري أكبر مما كانت تتصور، وكانت الورود تحيط ببابه الخشبي الواسع وبنوافذه التي كان زجاجها يلمع تحت أشعة شمس العصر.

ـ هذا رائع!

رغم صمتها المطبق إزاء القدوم إلى هنا، لم تستطع آلي أن تكبح آهة إعجاب، مما استطاعت أن تراه من الحدائق الواسعة، والكوخ بطراز سطحه المائل الذي يبدو أن صديق جيثرو فضله على غيره، ولو مالت بعنقها، لرأت الممر المقنطر في الجدار الحجري المرتفع الذي

يحد مروجاً فسيحة وأشجاراً كثيفة وتلالاً بعيدة.

كان مكاناً رائعاً لقضاء أسبوع أو اثنين، ينعم فيه المرء بالسكينة، ويتمرغ في صفاء جنة عدن قبل العصيان. ولكن توترها تفاقم عندما استدار جيثرو حول «الڤان» وفتح لها الباب لتترجّل.

لو أنه حاول أن يلمسها لأفسد جمال المشهد، وبدّد نشوة السكون التي تغمر هذا المكان السحري. التقطت أنفاسها وقد تملكها التوجس مما ينتظرها، فبعد ذلك المشهد المسرحي الذي لعبه الليلة الماضية، أمام أمها وخالتها، أدركت أن أقل لمسة منه كفيلة بأن تضرم النيران في عروقها.

لكنه لم يحرك ساكناً ليساعدها على النزول، وإنما فتح الباب ومد يده ليحمل حقيبتي الملابس، بينما كانت مستغرقة في تأمل المكان بإعجاب.

تركها تتأمل وحمل الحقيبتين متجهاً نحو باب الكوخ. لقد استطاع، بشكل ما، أن يجد وقتاً ليبتاع بذلة تليق بالمناسبة. بدت جديدة من دون شك، ولكن التفصيل غير المتقن والقماش الرخيص لم يقلّلا من شأن الجسم الرائع تحته، أو من الرشاقة في تحركاته.

ابتلعت آلي غصة وهي تتبعه.

فتح جيثرو الباب الضخم، ثم عاد يحمل الحقيبتين ويدخل، وهو يدعو الله أن يكون خدمه قد امتثلوا لأوامره، إذ أن أي إغفال منهم، كفيل بأن ينسف خطته من أساسها.

لم يكن قلقاً بشأن «جيم» البستاني. فهو جدير بالثقة ولا يحشر أنفه في ما لا يعنيه وهو لن يقترب من المنزل خلال هذين الأسبوعين، لأن رب عمله أمره بذلك. ولكن «إيثل»، مدبرة منزله، التي تتولى

شؤونه أثناء غيابه، ستشوق لمعرفة السبب الذي جعله يطلب منها أن تملأ الثلاجة وغرفة المؤن، وتغيب عن المنزل لفترة أسبوعين

لكنه لا يستطيع منعها من التسكع قرب الكوخ، متظاهرة بأنها تغادر المنزل بعد الامتثال لأوامره بتموين المكان بالطعام والشراب، وعيناها السوداوان تلتمعان بالفضول الأنثوي، وهي تنتظر لترى لماذا يريد الانفراد بنفسه في البيت، أو ما إذا كان برفقته أحد ما؟

سار مباشرة نحو المطبخ، فشعر بالارتياح إذ وجده خالياً، ثم عاد ليحضر آلي التي كانت تتسكع في الردهة، وهي تدير في إصبعها محبس الزواج المبهرج الخالي من الذوق.

شعر بالعطف نحوها. كان التوتر يسيطر عليها بعد أن فقدت الهدوء الأسطوري ونفورها من الرجال الذي كان طبيعة فيها وليس تظاهراً كما اكتشف بنفسه.

رفعت بصرها لتراه أمامها. وحاولت أن تبتسم، ولكنها عادت وترددت خائفة وأخذت تلوك شفتها السفلى. فسأل نفسه: لماذا؟ لماذا هذا الخوف؟ في الماضي نجحت في رفض محاولاته الحثيثة لدعوتها إلى الخروج معه، وهو لا يذكر أنها خرجت عن هدوئها وانضباطها إلا مرتين الأولى حين توهجت خجلاً وهي تطلب الزواج به، والثانية حين عانقها وضمها بين ذراعيه.

لعله نزع عنها إحدى تلك الطبقات التي تحمي بها قلبها... أو لعل شوقه إليها تسرّب إلى قلبها من خلال عناقهما... أو لعلها شعرت بتجاوبها معه فخافت وهي تشعر بأحاسيس مكبوتة تستيقظ داخلها.

بدا له هذا منطقياً. وشعر بالرضا فارتسمت على وجهه ابتسامة

عريضة سرعان ما محاها، إذ أدرك أنّ من الأفضل له ألا يستعجل الأمور

عليه أن يوقعها في شباكه خطوة خطوة وبرفق ويسر إلى أن تتحرق شوقاً لأحضانه وتصرخ كل ذرة في جسمها باسمه.

تنحنح بحدة، ومدّ يديه إلى الحقيبتين ثم صعد بهما على السلم الخشبي المصقول وهو يقول. «تعالي واختاري غرفة لك، يا آلي، قال لي «بيل» إننا سنجد الكثير من الطعام والشراب في الثلاجة وغرفة المؤن»

ـ كم غرفة هناك؟ إنه أكبر بكثير مما كنت أتصور.. حين قلت إنه كوخ للعطلات تخيلت أنه مؤلف من غرفتين في الطابق السفلي وغرفتين في الطابق العلوي، في بقعة معشوشبة.

كان كعب حذائها يوقع على الأرض المصقولة إيقاعاً أنثوياً جميلاً، وبدا صوتها لاهثاً مضطرباً، على الرغم من أن السلم لم يكن عالياً إلى ذلك الحد وأرجع هو ذلك إلى شعورها بالارتياح لأنها تعلم أنه لن يخون العهد ويطلب منها أن تشاركه غرفته. أخذ يفكر بذلك بجفاء فهو ليس غبياً لكي يطلب منها شيئاً كهذا، خصوصاً في هذه المرحلة، إلا أنها كانت تجهل نواياه.

وقف بانتظار وصولها، عند قمة السلم، ثم قال لها بمرح

ـ كان هذا الكوخ بيتاً ريفياً، مهملاً ومهجوراً عندما...

ما هو الاسم الذي أطلقه على زميل الدراسة ذاك! اللعنة، لقد نسيه! على الكاذب الناجح أن يكون قوي الذاكرة. والواقع أنه يتحلى عادة بذاكرة قوية، لكنها خانته الآن. وأنهى كلامه قائلاً: «عندما

اشتراه صديقي».

ثم أضاف برزانة: «إنه يحوي غرف نوم».

وفتح أول باب أمامه، وهو باب غرفة أخته الصغرى، كلو، التي تستعملها حين تتمكن من الابتعاد عن أصدقائها: «يمكنك أن تختاري سواها. لكن لهذه الغرفة حماماً خاصاً. لعلك لا تفضلين مشاركتي الحمام الرئيسي».

كان مسروراً للهجة العقلانية التي تكلم بها، ومحاولته مراعاة مشاعرها. لكن النظرة الغريبة التي بدت في عينيها حيرته، إذ قطبت جبينها، ومال رأسها الجميل جانباً، وكأنها تفكر ملياً.

- يبدو أنك تعرف المنزل جيداً، هل تأتي إليه غالباً؟

- ليس قدر ما أشاء.

لم يكن يريدها أن تكثر من الأسئلة عن علاقته بصاحب هذا البيت، لكنه رد على هذا السؤال بسهولة، وفي مطلق الأحوال هو لم يقل سوى الحقيقة. وفيما بعد حين تطلب منه ألا يفترقا أبداً، سيترددان على هذا المكان كثيراً. قد يجعله بيته الأساسي، ولا يسافر إلى لندن إلا عندما يشاء، ويصطحبها معه طبعاً. أما منزل لندن فسيحتفظ به للحاجة، لا شك أن هذا المنزل الريفي ملائم جداً لتربية أولادهما.

يا إلهي! غطى ضباب أحمر ناظريه وهو يفكر في إنجاب أطفال منها.. حاول أن يهدىء من جنوح مخيلته.

سألها بصوت أبح: «حسناً؟ هل تريدين أن ترى الغرف الأخرى؟».

اتسعت عينا آلي، لتشتبكا بعينيه. ووجدت نفسها عاجزة عن

تحويل نظراتها عن هاتين العينين الذهبيتين العميقتين، السوداوي الأهداب. كلامه كله منطقي، ولكن شيئاً في صوته جعلها تشعر بالوهن والأنوثة البالغة.

ثمة شيء يحدث بينهما، وهي تشعر به. إنه شيء لا تعرف ما هو. شيء يجعل الجوّ بينهما يتأرجح بين الطنين الرقيق والوخز الحاد.

رفعت أخيراً عينيها عن تينك العينين الذهبيتين المغناطيسيتين، وقالت بصوت حاد مرتفع. «لا.. لا أبداً. هذه الغرفة ممتازة».

وكادت تقع أرضاً وهي تسرع بتخطي العتبة، غاضبة من نفسها لتصرفاتها الساذجة.

قال لها جيثرو: «أراك فيما بعد، إذن».

ثم ترك الغرفة مغلقاً الباب خلفه. فانهارت على غطاء السرير المطرز بالأزهار وهي تشتم نفسها.

لم تكن تعلم ما يجري لها. لماذا تعجز عن التفكير بوضوح؟ ولماذا تتصرف كالممتوهة، وتتكلم بصوت مرتفع، وتتعثر في سيرها أو تتصوّر شرراً يتطاير في الجوّ بينهما؟

أخذت تدير في إصبعها المحبس المعدني الرقيق. هل هو حقاً مصنوع من النحاس؟ وتملكتها رغبة جنونية بأن تخلعه وتقذف به إلى آخر الغرفة، ثم تأوهت بحدة: ما الذي حدث لها بحق الجحيم؟ فهي التي طلبت منه أن يتزوجها، عارضة عليه ذخيرة العمر. كان هو بحاجة إلى المال، وكانت هي بحاجة إلى زواج صوري لتسلم أمها مفاتيح «قصر ستدلي» وتخبرها بأنه ملكها، لتفعل به ما تشاء.

لقد عقدت صفقة مع جيثرو، وهو ملتزم بها حتى الآن. ولكن

استغلاله منزل صديقه الصيفي ليمضي فيه شهر عسل وهمي. يزعجها، ولكنه منطقي، كما أوضح لها ولقد كان شهماً للغاية عندما عرض عليها الغرفة الوحيدة ذات الحمام الخاص ليجنبها الحرج إذا ما اصطدما ببعضهما، بالصدفة، تحت الدوش.

فلماذا كل هذا التشكك، إذن؟

ليس هناك من سبب واضح، بل لا سبب على الإطلاق صحيح أنه أخذ يتسكع حولها منذ أسبوع، يثرثر معها، وصحيح أنه كان معجباً بها، ولكن المسألة لم تكن جادة وليس بينهما من التزامات فما عرضته عليه أخمد أمله بإمضاء أمسيات صيفية مرحة معها، لأن النقود هي أكثر أهمية عنده. وهذا بالضبط ما توقعته.

عليها أن تكف إذن عن التفكير بالأمر وتصور أشياء لا وجود لها.

نهضت عن السرير، وأخذت تتفحص الغرفة لتبعده عن ذهنها بدت الغرفة الجميلة وكأنها صُممت لامرأة، فالقماش منقوش بالورود، والسجادة وردية اللون والجدران تبنية والأثاث أثريّ الطراز أما الحمام فصغير ولكنه يحتوي على كل ما تحتاجه المرأة.

لا بد أن صديقه ذاك، رجل سخيّ للغاية ليطلق يد جيثرو في بيته الجميل. أخذت تفكر في ذلك وهي تفرغ ملابسها القليلة التي كانت تحتفظ بها في منزل أمها لتستعملها أثناء زياراتها لها. وضعت على السرير بنطلون جينز أزرق وقميصاً قطنياً، لترتديهما، وهي تفكر بأنها ستسأله عن صديقه ذاك، وعمله وزوجته وابنته صاحبة هذه الغرفة كان هذا موضوعاً ملائماً يمكنها التحدث فيه أثناء الساعات الطويلة التي سيمضيانها في هذه العزلة.

بعد أن خلعت «طقمها» الحريري الأزرق، غسلت وجهها وأسنانها وقررت أن تستحم، بعد العشاء مباشرة، لتنام باكراً، فتختصر بذلك الوقت الذي عليهما أن يمضياه معاً، وتعود في الوقت نفسه إلى شخصيتها الطبيعية، هادئة، متحفظة، منضبطة المشاعر.

كانت تفكر في ذلك وهي تزرر قميصها، وتضم شعرها إلى الخلف بشريطة قديمة

ثم فتحت باب غرفة النوم وذهبت تبحث عنه.

لقد عاد إليها انضباطها

ولا شيء يمكن أن يغيّر هذا. أبداً.

* * *

٧ ـ بذور الغيرة

خرجت من غرفتها رافعة الرأس، وقد ضاقت عيناها وبان العزم على وجهها. وإذا بها تصطدم بجسم جيثرو الدافىء الذي ينبض حيوية ورجولة.

شهقت بعنف وهو يطوقها بذراعيه حتى لا تقع. وبذلك ذهب كل تصميمها على العودة إلى طبيعتها، هادئة متحفظة منضبطة، مع الربح.

لم تقوَ على مقاومة تلك الأحاسيس العاصفة التي غمرتها، فأحاطته بذراعيها هي، أيضاً، باسطة راحتيها على ظهره العريض. ولاحظت أنه بدل ملابسه وارتدى قميصاً أبيض الشمق بجسده الذي كان لا يزال مبتلاً بعد الحمّام. وعندما حركت أصابعها تلامسه، شعرت بعضلاته المشدودة، وصلابة جسمه الرطب ورفعت رأسها، وقد دار رأسها، ولم تعد تتذكر إلا عناقه الشغوف منذ أربع وعشرين ساعة. تلهفت مرة أخرى أن يضمها بين ذراعيه في عناق طويل، عناق يحملها بعيداً فوق السحب، بجوار القمر.

أوشكت أن تقول له ذلك بصوت مرتفع، ولكنها شعرت بالارتباح الشديد لأنها لم تفعل، أوَ لم تحسّ بالغثيان عندما قال: «حافظي على توازنك».

ثم ابتعد عنها وأضاف بمرح:

ـ كنت ذاهباً لأعد العشاء. تعالي معي، يمكنك أن تعدي المائدة وتجلبي الشراب.

ورمقها بابتسامة أخوية، رقيقة... لعله لم يلاحظ تجاوبها الجنوني ولكن سواء فعل أم لا، فقد شعرت بجرح عميق في كبريائها، لأنها شعرت به ينبذها بينما هي تريد منه أن يضمها إليه. وهذا أمر مذل للغاية.

ألم تتجاهل طوال حياتها تلك الأحاسيس الغريبة من دون أن تشعر بالانزعاج؟ من المؤكد أنها لن تواجه أي صعوبة مع جيثرو كول.

وراح ينزل السلم، غافلاً عما تركه خلفه من اضطراب نفسي. وبعد جهد جهيد، تناست تلك اللحظات التي أخرجتها عن تحفظها، وأخذت تفكر، وهي تتبعه ببطء، أن لديه أولوياته، ومنها أن يملأ معدته بالطعام بدلاً من أن يغدق عليها بحنانه. أما اهتمامه بها، قبل عرضها الزواج عليه، فسرعان ما تحول إلى حب للمال فحسب.

ينبغي عليها أن تكون ممتنة لذلك وليس متكدرة.

دخلت إلى غرفتها، لتعود وتنزل إلى المطبخ بعد خمس دقائق، حاملة الشيك. صحيح أن المبلغ يقفل حسابها في المصرف لكن الأمر يستحق العناء، لأنه سيمنح أمها الحق في العودة إلى «ستدلي»، كما يؤكد على أن سبب وجودهما هنا معاً لا يتعدى المصلحة التجارية.

وضعت الشيك على حافة المائدة حابسة أنفاسها بصمت.. لا بد أنه سمع حركتها، لأنه استدار ليقول بمرح: «افتحي زجاجة مرطبات

من فضلك. تجدين الأشربة المحلاة في غرفة المؤن».

وأشار بالملعقة الخشبية ناحية باب بجانب المدفأة، ليعود ويركز انتباهه على الطعام الذي يعده، محركاً مقلاة تفوح منها رائحة بندورة مع الثوم.

لم تشأ آلي أن تناقشه، فقد كانت تنوي ترك المطبخ بنفس الهدوء الذي دخلت فيه، وتذهب بعدها في نزهة طويلة، سيراً على القدمين، إذ أرادت الانفراد بنفسها بعد تلك الموجة الجنونية التي تملكتها منذ دقائق.

لكنه، تنبه إلى صمتها ذاك. ولهذا لم يكن عليها أن تشعر بالحرج وستبقى لتناول الطعام معه بهذه الطريقة ستتمكن، على الأقل، من أن تثبت لنفسها بأنها استعادت رباطة جأشها مرة أخرى وكسبت المعركة مع رغباتها الدفينة

كان رف الأشربة المحلاة بالسكر مزدحماً، وشعرت آلي بالانزعاج وهي تختار زجاجة مرطبات.

ـ لا يمكننا أن نستنفد مؤن صديقك.

قالت له ذلك بخفة وهي تعود إلى المطبخ. «هل من متاجر قريبة من هنا؟ يمكنني أن أعيد له ما استعملناه، وأشتري ما يلزمنا من حاجيات».

هنأت نفسها لنجاحها في التحدث بهدوء واتزان، وأضافت باختصار: «الشيك على المائدة، وأظنك تحب أن تدخله في حسابك، في المصرف، في أسرع وقت ممكن».

لم يكن بإمكانها أن تجد كلمات أفضل لعرض الجانب التجاري من علاقتهما، فإن لاحظ لهفتها إليه وحنينها إلى عناقه، فسيدرك

تونرها وهي لا تحتمل أن يظن أنها مفتونة به لأنها ليست مفتونة به. حسناً. ليست مفتونة به تماماً بل ليست مفتونة به على الإطلاق!

أجابها جيثرو قائلاً. «القرية تبعد خمسة أميال من هنا، والمتجر الوحيد لا يقدم سوى السمك والبطاطا المشوية».

ونظر إليها وهي تفتح الأدراج ووجهها الجميل خالٍ من أي تعبير.

لم يمض وقت طويل منذ نظرت إليه بعينين ذابلتين، وهي تجذبه نحوها بقوة منحرقة شوقاً إلى أن يضمها بين ذراعيه في عناق طويل

وكم صعب عليه أن يبتعد عنها. لقد أراد أن يلبي نداء عينيها بلهفة كانت لتفسد كل شيء، لكنه قرّر الانتظار حتى يكسب ثقتها، واحترامها، فهو يريد منها أن تقع في غرامه وتشاركه أحلامه بشأن مستقبلهما معاً، قبل أن يغويها

قال لها: «يمكن لذلك أن ينتظر». فهو لن يمس أبداً قرشاً من مالها، ثم أخذ يسكب الطعام، وهو يضيف قائلاً. «لا يمانع بوب أن نأكل من طعامه».

توقفت عن فتح الزجاجة ونظرت إليه بازدراء. لقد فات الأوان، فلا بد أن كلماته جعلته في عينيها أكبر طفيلي في العالم، وبهذه الطريقة لن يكسب احترامها أبداً! لكن كلماتها جعلته يتأكد من أن حبه لها ألقى بعقله في غيبوبة «في المرة الأخيرة التي تحدثت فيها عن صديقك قلت إن اسمه بيل».

تأوه مبتسماً، وهو يأخذ الزجاجة من يدها ليفتحها: «بيل، بوب لطالما كره هذين الاسمين ولم يستطع قط أن يقرر أيهما يفضل. لذا كان يجيب على الإسمين».

رأت هذا معقولاً إلى حد ما، خصوصاً أنه أزال الشك الذي تملكها بأن صديقه، مجرد خدعة، وقد اكتشف، بشكل ما، أن أصحاب هذا البيت غائبون فأراد أن يستغل خلوّ المكان مؤقتاً.

لم تشأ أن تسيء الظن به، فلا تحسبه إنساناً مخادعاً يستغل الفرص المتاحة أمامه. كان هذا الأمر بالغ الأهمية بالنسبة إليها وإن لم تكن تعرف لماذا، ومع ذلك، نظرت إليه وهو يسكب الشراب، ثم سألته:

ـ ما هي شهرة بوب... بيل، هذا؟

لم يكن ليلومها على شكها، فخطر على باله اسم مساعده الشخصي الذي لا يمكن أن ينساه أبداً، فأجابها قائلاً: «أبوت»

رباه، كم يكره هذه اللعبة الملتوية الغبية!

شعر للحظة برغبة جامحة في الاعتراف بالحقيقة. لكنه إن فعل فستتساءل هي عن السبب في قبوله الزواج بها ما دام لا يحتاج إلى نقود، وعندها ستهرب منه، لأنها لا تريد حتماً ما يريده. وهو الزواج الفعلي القائم على الحب.

ليس حالياً، ولكن هذا سيحدث. عند ذلك سيخبرها بالحقيقة راجياً أن تسامحه لهذا الخداع، وتفهم سببه، وقال يدعوها: «كلي».

وعندما جلست، وقالت له: «حدثني عنه».

ولأنه كان جاهزاً لهذا السؤال، أجابها: «ماذا تريدين أن تعرفي؟».

وأخذ جرعة كبيرة من كوبه، فالفضول يعشعش في عقول النساء، ولا شك أنها سترغب بمعرفة كل تفاصيل حياة بيل ـ بوب! ما عليه سوى أن يحدثها عن صديقه المزعوم ذاك واصفاً لها نفسه. لن

يختلق لها المزيد من القصص، لأنه يعرف حق المعرفة أنه لا يصلح لتلفيق الأمور.

ـ كل شيء.

أجابت بذلك، مصممة على ملء الوقت بالحديث عن شخص لم تعرفه قط من قبل، فذلك أفضل من هذا الصمت المزعج الذي قد يدفعها للمجازفة بخوض غمار المسائل الشخصية.

ـ كما تشائين.

قال ذلك مذعناً. فقد سبق له أن توقع هذا كما أن ذلك سيوفر عليه الوقت عندما تدق ساعة الحقيقة، ويكشف لها عن شخصيته الحقيقية. عندما يحين ذلك فهذا يعني أنها وقعت في غرامه ولن يضيع بعدها الوقت في أحاديث لا طائلة منها، بل سيطلب منها أن تعود إلى الحديث الذي على وشك أن يتبادلاه..

أفرغ كأس المرطبات بسرعة، محوّلاً عينيه عنها وهي تلمس جانب فمها مستدركة قطرة مرق، ثم التفت إلى طعامه، وهو يروي لها سيرة حياته.

ـ إنه في مثل سني، تعلمنا في المدرسة الرسمية نفسها وتخرجنا من الجامعة نفسها.

هذا يفسر النبرة المثقفة في صوته، فقد حصل على ثقافة جيدة، فلماذا ينتهي إذن بعمل تنظيف النوافذ، وفي سن الرابعة والثلاثين؟ ذات يوم، في المستقبل، وقبل أن يفترقا، ستسأله عن ذلك. وعادت تركز انتباهها إلى كلامه. من المفترض أن تستمع إلى سيرة صديقه المعطوف، لا أن تتأمل صفاته هو.

حين كان في الجامعة، حاول العمل في سوق الأسهم. ولكن

وقعت أزمة سنة ١٩٨٧، فباع أسهمه كلها بأسعار مرتفعة جداً، وحوّل المبلغ البسيط الذي أنفقه إلى ثروة متواضعة. وأخذ بعد ذلك يشتري محلات تجارية فاشلة ويحوّل نوع تجارتها إلى نوع آخر، ثم يبيعها، فأصبح اليوم مالك إمبراطورية تغطي الكرة الأرضية، ويعتبر من أغنى رجال هذه البلاد

- حسناً فعل.

قالت ذلك صارفة النظر عنه تقريباً.

- ولكن ماذا عن أسرته؟ والديه، زوجته، أولاده؟

ضاقت عيناه، وأعاد ملء كوبيهما معاً من الواضح أن قصص الثروات لا تهمها. كانت أعين النساء اللواتي عرفهن تتألق اهتماماً وجشعاً، لكن حبيبته آلي تهتم أكثر بالناحية الإنسانية من الرجل، فدعم هذا في نفسه رأيه السابق في أنها المرأة الوحيدة التي تناسبه.

وهو سيخبرها الآن أشياء عن حياته الماضية لم يسبق أن أخبرها لأحد من قبل، من دون أن تعلم، طبعاً، أنه يتحدث عن نفسه، وليس عن صديقه ولكنه، على كل حال، شعر بالارتياح وهو يفتح لها قلبه.

- كنت..

وتوقف عن الكلام، عليه أن يتذكر أنه لا يتحدث عن نفسه.

- عاش مع والديه في منزل يمكنك اعتباره فخماً نوعاً ما. ولكن من شدة انشغالهما لم يكن الوالدان يمضيان مع ابنهما وقتاً كافياً. وقبل أن يلتحق بالمدرسة التمهيدية لم يكن يخرج إلا مع مربيته، في نزهة على الأقدام.

فقالت آلي برقة وقد دمعت عيناها: «آه، يا للطفل المسكين! لا

بد أنه شعر بوحدة بالغة»

صحيح أنها كانت تبذل جهدها لإخفاء مشاعرها المتأججة خلف مظهرها البارد، إلا أنه كان لها أيضاً قلب حنون ورقيق. فامتلأ قلبه حباً لها، وأرغم نفسه على التمسك بكرسيه حتى لا يقفز ويأخذها بين ذراعيه، ويُغدق عليها عناقاً ما بعده عناق

قال لها بصوت خشن رداً على رقة قلبها: «هذا ليس صحيحاً أبداً منحته مربيته، بريغس، كل ما هو بحاجة إليه، فعلّمته الاعتماد على النفس، والفرق بين الخير والشرّ. كانت حازمة معه إنما بعدل، فوهبته حنان الأم أكثر من تلك المرأة الجميلة التي نادراً ما لاحظت وجوده إذ كانت دوماً مشغولة بقضاء أوقات ممتعة، وباحثة، عن إعجاب الرجال».

سألته والتفكير يبدو في عينيها الزرقاوين العميقتين: «هل تعرف أمه؟ يبدو كأنك تعرف الكثير عنها».

- لم أرها سوى بضع مرات.

قال ذلك باقتضاب، وهو يدرك أنها الحقيقة... ذكريات غامضة ونادرة لامرأة رشيقة وأنيقة تفوح منها روائح العطور الثمينة، وتطلق ضحكات رنانة مرحة، خالية من أي عاطفة.

وقبل أن تبدأ بطرح الأسئلة عن علاقته بصديقه، بعد المدرسة، أضاف قائلاً: «كان في الثانية عشرة عندما ولدت أخته كلو. وبعد مرور شهر تقريباً اختفت والدته، وعرف فيما بعد، أن والد ابنتها تلك ثريّ يوناني، وان كلو في الواقع نصف أخت له ثم وقع الطلاق بينها وبين أبيه الذي انطوى على نفسه، وبدأ يميل إلى الانعزال عن

الآخرين، وعندما كان بيل يعود إلى بيته خلال العطل المدرسية كان يلاحظ أن أباه يتجاهل كلياً وجود كلو، وهذا أمر طبيعي، إذا اعتبرنا أن زوجته ألقت بالطفلة على كاهله وهربت مع الرجل الذي كان بإمكانه إنفاق مزيد من المال عليها».

ـ ولكن الذنب ليس ذنب الطفلة!

اعترضت آلي بحرارة... مساكين الأطفال، ما أفظع ألا يغدق الوالدان حنانهما عليهما! وكم هي محظوظة لتلك العلاقة الوثيقة بينها وبين أمها.

ـ لا، لم يكن الذنب ذنب كلو.

وافقها جيثرو الرأي، مبتسماً لحماستها.

ـ أبقى الرجل العجوز المربية بريغس لترعى كلو، مع أنه في تلك الحقبة، كان غارقاً في الديون، من دون أن يعلم أحد بذلك. ولما بدأ بيل يجمع ثروته، كان بإمكانه مساعدته على إيفائها ولكنه لم يعلم بحجم تلك الديون إلا بعد وفاة والده.

وجاهد ليمحو نبرة الندم من لهجته، ثم تابع قائلاً: «ثم بيع منزل الأسرة لسداد الديون. ولم يكن بيل أو كلو يحتفظان بذكريات سعيدة عن ذلك البيت، ثم أرسل كلو التي كانت في الرابعة عشرة من عمرها حينذاك، إلى مدرسة داخلية، واشترى هذا البيت لأجلهما ليقيما فيه أثناء الإجازات، رغم أنها، منذ سنتين، بدأت تميل إلى قضاء إجازاتها مع مجموعة من أصدقائها، وهي الآن على وشك أن تنال إجازة في الهندسة الداخلية، ويبدو أنها ستجتاز الامتحان بنجاح. بعد أن تركت المدرسة، انضمت لفترة من الزمن إلى العاطلين عن العمل، فذاق صديقي حينها الأمرّين، والحقيقة أنه كاد يفقد صوابه، وبذل

جهداً كبيراً في إقناعها بأن تلك الطريق ستدمر حياتها».

فقالت آلي: «إني أستعمل الآن غرفتها إذن». ثم أضافت: «أرجو ألا تمانع. لأن عرف النوم تعتبر أماكن خاصة. هل هي بخير الآن؟».

بدا لها الأمر غريباً، إذ اندمجت بكليتها في قصة مضيفهما الغائب، فشعرت وكأنها تعرف الرجل حق المعرفة، فطمأنها جيثرو مبتسماً: «نعم، إنها بخير، ولا تتخطى المصروف المحدد لها.. إنه قادر حتماً على جعلها تعيش في رفاهية طوال حياتها، لكنه يصرّ على أن يكون ذلك بمجهودها الخاص. ولكن انتبهي..».

ووقف يرفع الأطباق الفارغة. «في المناسبات عندما تزداد نفقاتها تجدينها قادرة على أن تأخذ منه ما تريده. إذ بإمكانها أن تحركه بإصبعها الصغيرة! أما بالنسبة إلى سؤالك الثاني، فهي لا تمانع أبداً في استعمالك غرفتها.. إن كلو هي من أكرم الناس الذين عرفتهم».

نقل الأطباق إلى الحوض حيث غسلها بالماء قبل أن يضعها في آلة غسل الأواني، وشعرت آلي بأنه مغرم بأخت صديقه! إذ لا يمكن التغافل عن الشغف الذي لمسته في صوته وهو يتحدث عنها، ولم يهتم حتى بإخفاء انبساط ملامحه الخشنة، حين ذكر اسمها.

وتملكها الذعر وهي تدرك أن تلك الغصة في حلقها، هي دليل غيرة. فراحت تقنع نفسها بألا تتحامق. لأن ما يجمعهما مجرد صفقة تجارية ولا شأن لها بحياته الخاصة.

أخذت تنظر إليه، بعينيها اللتين لفهما الحزن، وهو يمسح يديه. وانحبست أنفاسها وهي تنظر إلى كتفيه العريضتين وخصره الضيق وساقيه الطويلتين.

الاحتمالات كثيرة. ولكن أي احتمالات؟

لم تشأ أن تجيب. وعندما ابتسم لها وسألها إن كانت تريد قهوة، أومأت وهي تنظر بعيداً، لأنها لم تستطع أن تحتمل تلك الرعشة التي سرت في جسمها، من رأسها إلى أخمص قدمها.

فأرغمت نفسها على التفكير في شيء آخر.

أتراه أدرك أن طريقة حياته العقيمة لا تجعله زوجاً صالحاً لأخت صديقه؟ ألهذا السبب حاول أن يستجمع عزيمته ويعمل منظفاً للنوافذ؟ ألهذا السبب أيضاً، تشبث بعرضها عليه هذا المبلغ الكبير من المال مقابل زواجه بها، وبذلك يتوفّر لديه شيء يمكن أن يقدمه لفتاته كلو؟

بعد سنة تنهي هي دراستها ويصبح هو حراً، فهل ينوي أن يستعمل المال الذي كسبه في دعم عملها؟

بدا لها ذلك منطقياً بشكل مفزع... لم تهتم قط لدعواته المتكررة للخروج معه. إنه من أكثر الرجال إغراء، وحوله هالة من السلطة والقوة التي تفتن النساء. ولعلّه خلّف وراءه سلسلة من العلاقات السطحية العابرة، فهو يحتفظ بمشاعره الحقيقية حتى يتمكن من موافاة المرأة التي يحب غير خالي اليدين.

فلماذا يزعجها هذا؟ فزواجهما صوري، منذ البداية. فلماذا تشعر بالنبذ والازدراء؟ ولماذا بدت هذه الليلة الصيفية الدافئة، فجأة، كئيبة باردة؟

* * *

٨ ـ براعم الأحاسيس

كان الجوّ يبشر بنهار صيفي رائع آخر... استيقظت آلي باكراً مكتئبة المزاج

لقد تصرفت الليلة الماضية بحماقة، ولكن لحسن حظها لم يدرك جيثرو سبب نونرها المفاجيء الذي جعلها ترفض تناول القهوة وتندفع خارجة من الغرفة بعد إلقاء تحية مسائية مختصرة.

لعله ردَّ خروجها بتلك الطريقة السيئة إلى مللها من صحبته، أو، إلى واقع أنه منظف نوافذ وضيع، لا يستحق أن يعامله الآخرون بتهذيب

تصاعدت الدماء إلى وجهها تحت ملاءة السرير... ولكنه، على الأقل، ما كان ليستطيع أن يتكهن بأن تصرفها، ذاك، هو ردة فعل مفاجئة لشعورها بأنها زوجة منبوذة، مجروحة الكرامة.

بهضت من السرير وتوجهت إلى الحمام وهي تخلع قميصها.. عليها أن تراجع نفسها، وتكفّ عن الشعور والتصرف بهذا الغباء. وقفت تحت «الدوش» آملة أن يخفف الماء الساخن من توتر جسدها.

لم يكن جيثرو يريدها كما أنها لم تكن تريده، ولكن ما سبب موقفها الغريب ذاك؟ لقد شعرت وكأنّ عصا هوت على رأسها عندما حست بعطفه، وحبه لأخت صديقه؟ لا بد أن ذلك يعود إلى

كان زواجها من جيثرو خدعة، للحصول على قصر ستدلي. خدعة تمنحها سعادة أمها وراحتها

لا حاجة بها إذن للشعور بالذنب، فالشعور بالذنب مرده إلى الضغط النفسي، واعتقادها بأنها ترغب في أن يضمها جيثرو بين ذراعيه من جديد.

عليها أن تكف عن ذلك، لأنها ستمضي عاماً بكامله في هذا الزواج الزائف فلتبدأ إذن بمعاملته بتهذيب بارد، لتكتف بتعليقات لا معنى لها عن حالة الجوّ وهي تعدّ الفطور

ارتدت بنطلوناً كحلي اللون مع بلوزة بيضاء من دون كمين، وانتعلت حذاء من الكتان، وتركت شعرها منسدلاً على كتفيها ليجفّ

دقت ساعة المطبخ السابعة، لكنها لم تر أثراً لجيثرو، فارتأت ألا تبدأ بإعداد الفطور الآن إذ قد يفضل النوم حتى الظهر

فهي لا تعرف شيئاً عنه، ولا يهمها أن تعرف.

ـ أجائعة أنت؟

سمعته يقول ذلك وهو يدخل المطبخ من باب "الحديقة". فقفزت مذعورة وراح قلبها يخفق بشدة

نظرت إليه بطرف عينيها، ثم تناولت إبريق الشاي لتملأه بالماء.

كم يبدو جذاباً نابضاً بالرجولة، هل تحيط به دوماً تلك الهالة المثيرة الخطرة؟ وهل يثير في كل امرأة تلك المشاعر الغريبة؟

* * *

طفح الماء من الإبريق، فمدّ يده القوية الرشيقة يأخذه منها وهو

يقفل الصنبور، فوقف على مقربة منها، وجسمه الضخم يكاد يحتك بجسمها. كان يرتدي بنطلوناً بالياً وقميصاً أسود من دون كمين. وكان مفعماً بالحيوية، ذا بشرة لوحتها الشمس تغطيها شعيرات جسمه السوداء، وكل خلية فيه تنضح بالرجولة، حتى أنها كادت تشعر حتى بحرارة جسده وتشمّ رائحة الرجولة منه. ولو شاءت لمدّت يدها ولمسته.

شمرت بالدوار، فأغمضت عينيها كي لا تراه، ثم قالت: «أردت أن أعد الفطور ولكنني حسبتك نائماً».

وتساءلت عما إذا كان هذا صوتها أم صوت دجاجة تزعق.

ـ يوماً ما ستعلمين متى أستيقظ.

أجاب بنبرة غامضة يلفها المرح والدفء والمشاعر. ولكنها لن تسأله عما يعنيه بقوله هذا، وتنحت جانباً مبتعدة عنه، وقال: «سأعدّ الفطور بنفسي. لِمَ لا تذهبين لاكتشاف بقية أنحاء المنزل؟ وعندما أنتهي، أناديك؟ تصرفي وكأنك في بيتك».

وكأنها في بيتها.. وكأن.. وتشبثت بفكرة الخروج من المكان بسرعة، وفتحت أحد أبواب الردهة، ثم أغلقته خلفها واسندت ظهرها إليه، وهي تضع أصابعها على صدغيها اللذين أخذا ينبضان، ثم أخذت نفساً طويلاً مرتجفاً.

عليها أن تكف عن خداع نفسها، متظاهرة بأن ردة فعلها هذه نحو جيثرو هي نتيجة الإجهاد فحسب، مقنعة نفسها بأنها قادرة على الحفاظ على هدوئها وانضباطها وهي إلى جانبه.

الحقيقة المرة هي أنه جعل مشاعرها تتفتح، فهو الرجل الوحيد الذي نبهها إلى أنوثتها إلى حدّ جعلها تفقد السيطرة على نفسها.

ها هي تقر أخيراً بذلك، ولكن عليها أن تقوم بشيء حياله، فهي تعيش معه تحت سقف واحد مما يجعل مهمتها صعبة على الأقل أثناء شهر العسل الزائف هذا.

ولكن عند عودتهما إلى لندن، ستنشغل بعملها، وتسافر إلى كافة أنحاء العالم لعرض الأزياء، فتتمكن حينئذٍ من مواجهة الأمر، فلا تراه إلا عند الضرورة حفاظاً على المظاهر، لتبعده بعدها عن ذهنها.

ويمكنها أن تبدأ بتنفيذ ذلك في الحال، فتتوقف عن التفكير فيه. عليها أن تفكر في أمر آخر... هذه الغرفة مثلاً، إنها غرفة طويلة، بطول المنزل، جدرانها مغطاة بخشب السنديان وفي زاويتها مدفأة ضخمة، قديمة الطراز، يلقى فيها في أيام الشتاء بقطع الحطب الضخمة فيعكس لهبها أضواء متأرجحة على الجدران. وباستثناء الأرائك، اختير الأثاث من الطراز الأليزابيتي، ليتناسب مع عصر المنزل القديم. أترى ملأ مضيفها الثريّ الغائب حياته بمقتنيات جميلة لأنه لم يكن لديه شيء آخر؟ ومرّت بأصابعها ببطء فوق سطح زجاجي لخزانة تحتوي على أدوات مائدة من العهد التيودوري، وتنهدت. من الغريب أن تشعر بتجاوب ذهني مع ذلك الرجل الذي نشأ محروماً من حب والديه.

لم يكن الأمر مماثلاً بالنسبة إليها، فحتى الخامسة عشرة من عمرها، أمضت طفولة مثالية مع أبوين محبين رفيقين، وروابط أسرية عميقة مكتملة، إذ كان أبواها يشركانها في حياتهما، ويعاملانها كمثيل لهما.

إنها تتذكر مثابرتها على التدقيق في مسودات الطبع لقصص

أبيها، ومناقشة حبكة مسرحياته الجديدة، وإعطاء أفكاراً كان يأخذها دوماً في الاعتبار وما زالت تتذكر أمها وهي تسألها النصيحة عن تطوير الحديقة التي كانت تنشئها.

ولكن بعد موت أبيها بتلك الطريقة، أصبحت حذرة وخائفة. فانكبت على عملها، وراحت تكنز المال وكأن لا شيء يهمها سواه.

انفتح الباب بصمت، وقال جيثرو: «لقد انتهيت. هل نأكل في الخارج؟ إنه صباح مشرق».

سألته وهي ما زالت مستغرقة في أفكارها: «هل السيد «أبوت» متزوج؟»

ثم استدارت تواجهه وهي تستجمع شجاعتها أمام تأثيره القوي الذي لم تعد تستطيع مقاومته.

نظر إليها لبرهة، وكأنه لم يفهم سؤالها، ثم قست نظراته واستحال الذهب في عينيه إلى برودة الثلج، بشكل ما كانت آلي لتصدقه لو لم تره بنفسها. ثم توتر فمه وتصلبت ملامحه وهو يسألها:

ـ لماذا تريدين أن تعلمي؟ أم أنه مجرد سؤال غبي؟ فضول نسائي طبيعي عن الوضع العائلي لكل رجل يتراوح عمره بين التاسعة عشرة والتسعين خصوصاً إذا كان مليونيراً؟

شعر وكأنه وقع في بركة عميقة من الماء البارد. لقد كان هو نفسه هدفاً لصائدات الكنوز، مما جعله قادراً على تمييز هذا النوع من النساء من النظرة الأولى، وكان بإمكانه أن يراهن على آلي بحياته، بأنها ليست من هذا النوع.

ولكن ما الذي قد يدفعها إلى طرح هذا السؤال؟

أخذت عيناه تتفحصان ملامحها وكأنه يبحث عن الجواب فيها.

كانت أهدابها الكثيفة تغطي عينيها الزرقاوين العميقتين، وقد علا الاحمرار وجنتيها. أهو لون الخزي لأنه استطاع أن يتسلل من خلال سؤالها إلى نفسها الجشعة؟

أنهكه الندم فلو أنه أجاب عن سؤالها بالنفي، لابتسمت له ببلاهة، وطلبت منه أن يعرّفها عليه، وعندها كان سيتخلى عن الزواج الزائف في تلك اللحظة بالذات ويترك آماله ليمحوها الزمن!

ـ يا لك من رجل كريه ساخر لاذع.

ورفعت عينيها فاشتبكتا بعينيه بازدراء، وأزاحت خصلة طويلة، من شعرها، عن وجهها بغضب، ثم انفجرت فيه بحدة «إن كنت حقاً تريد أن تعلم، فقد فكرت في ما أخبرتني عنه، وشعرت بالأسى نحوه، وتساءلت عما إذا كان ذلك الرجل الذي يبدو أنه حصل على كل شيء، قد استطاع أن يجد امرأة يحبها، فالحب لن يخترق بسهولة قلب رجل لم يعرفه قط».

قالت هذه الكلمات بازدراء عنيف، جعله يكره ما يميزها عن الأخريات من اللواتي لا يهمهن سوى حجم رصيد الرجل في المصرف، ولا يكترثن البتة بشخصه أو تفكيره ومشاعره.

قال لها والندم باد على وجهه.

أنا آسف.

ولكن هذا لم يكن كافياً، لأنه لم يخفف من شدة غضبها، وأرادت أن تندفع خارجة من الغرفة لكنه وضع يده على كتفها فشعر بها تتسمر مكانها

ـ أظنني بالغت في ردة فعلي.

قال ذلك برقة. أليست هذه هي الحقيقة؟ كيف يثيره سؤال واحد

بريء، بهذا الشكل؟

ـ عرف بيل نساء كثيرات تلهفن للحصول عليه، وحاولن دخول حياته وجيبه بمعسول الكلام، حتى أصبح لا يثق بامرأة دون الخمسين.

شعر بجسمها تحت يده، يتوتر، فوضع من دون قصد يده الأخرى على الكتف الأخرى، وأخذ يمتد عضلاتها المتشنجة بحركات متناغمة.

ـ ولكن سيسعدك أن تعلمي أنه تزوج حديثاً من امرأة وجد فيها أعظم حب في حياته.

شعر بها تسترخي، وعضلات كتفيها تكاد تذوب تحت يديه. اقترب منها، ليشعر بحرارة جسمها العذبة، فخانته أعصابه ولم يعد قادراً على السيطرة على مشاعره ليبعد نفسه عنها.

ـ سرني هذا.

قالت ذلك بصوت خافت، ثم ابتلعت ريقها بصعوبة عندما انزلقت يداه عن كتفيها وأخذتا تلامسانها. كان عليها، أن تقاوم تلك الأحاسيس الحلوة الحادة التي ابتدأت تتملكها وتنتشر في أنحاء جسدها.

ولكن جسمها كان يهتف شوقاً، وبسطت يديها على صدره، ثم تمنت، بضعف، لو أنها لم تفعل، لأنها شعرت بتوتر عضلاته تحت راحتيها، مما أنبأها بأن شوقه لها يضاهي شوقها له.

وكان هذا جنوناً. قد يرغب في علاقة عابرة، لكنها ليست كذلك لا يمكنها أن تعرّض نفسها للألم والمذلة. فهو يعشق «كلو أبوت..» لقد رأت ذلك في وجهه، وسمعته في صوته. فالعبث مع

المرأة التي اشترت سنة من عمره لن يكون أكثر من طريقة ممتعة لقضاء رغبته العابرة. أما بالنسبة إليها.

أبعدت تلك الأفكار غير المرغوب فيها عن ذهنها، وتقبضت يداها ودفعته بهما.

- آلي.

وتهدج صوته العميق عندما سقطت يداه إلى جانبيه وكانت ترى لمعان الرغبة في عينيه الذهبيتين وهو يأخذ نفساً عميقاً معذّباً إن لم تكن حذرة، فستهرع إليه.. إلى ذراعيه، وتغرقه بحبها، وتشبع ظمأها إلى حنانه. كان ذلك أكثر مما يمكنها صده، والإغراء أعظم من أن تقاومه.

تصاعدت من حنجرتها آهة عذاب، وأغمضت عينيها وقد تملكها الوهن والاستسلام. لو لمسها، لما استطاعت المقاومة، ولكن عند ذلك ستفعل ما أقسمت دوماً على عدم فعله وهو منح كيانها كلّه إلى رجل لتعاني بعدها الألم، عندما تتحول الرغبة إلى عدم مبالاة وفراق

- أريدك، يا آلي. يمكنك أن تنكري قدر ما شئت، ولكن هذه الرغبة متبادلة، أريد أن أجعل هذا الزواج حقيقياً. لكنني سبق أن وعدتك بأنني لن أستعجلك حتى تعترفي بنفسك بأنك تريدين ذلك، أنت أيضاً. والآن، هل نأكل؟

شعرت بالدوار. لقد تحدث عن رغبته في أن يجعل هذا الزواج حقيقياً، وبصوت مجرد من الإحساس وكأنه يقرأ قائمة بمشتريات من السوق، وها هو يقترح عليها، بهدوء، أن يتناولا الفطور

لم تشعر في حياتها، قط، بفقدان مماثل للشهية!

- لم يكن ذلك جزءاً من الاتفاقية.

قالت ذلك وهي تصر أسنانها والغضب يتملكها، لأنه أحس برغبتها وهو يستغلها لمصلحته.

- الفطور؟

وغاظتها ابتسامته الكسول، فقالت له: «تعلم جيداً أنني لم أقصد ذلك! لا تخبرني بأنك نسيت الاتفاقية التي بيننا.. لم يمض على زواجنا أربع وعشرين ساعة، وها أنت تعطيني إشعاراً مسبقاً بأنك تبذل جهدك لتنهي ذلك الإتفاق».

- لم أبذل جهدي، يا حبيبتي. فأنا لم أبدأ بعد بالمحاولة.

وتابع يقول: «يكفي أن أقترب منك، حتى يحدث شيء عنيف مدمّر. لكنني سبق أن وعدتك بأنني لن أستعجل الأمور، وسأنتظر حتى تصبحي مستعدة للاعتراف بذلك، وتواجهي ما تريدينه. والآن سنؤجل الحديث في الموضوع ونرتشف القهوة قبل أن تبرد، وأنا بحاجة إلى بعض منها».

فتح الباب وتنحّى جانباً لتمرّ. كان من الصعب وضع ذلك الموضوع جانباً، كما اقترح. إذ عليها أن تعرض القواعد الأساسية لعلاقتهما مرة أخرى، بصراحة ووضوح.

ولكن كيف ستقوم بذلك بينما أوضح أنه يعرف كيف يجعلها تتجاوب معه حتى من دون أن يحاول معها شيئاً؟

لكن الجواب لم يأتها إلا بعد أن تبعته إلى حيث أعد مائدة الفطور في ظل شجرة إجاص معمّرة.

سحبت كرسياً وجلست عليه، وأخذت تنظر إليه بعينين ذابلتين. كان قد غطى إبريق القهوة فبقيت ساخنة عبقة. أخذت من يده الكوب الذي قدمه إليها، وهي تقول: «لقد عقدنا اتفاقاً، وتسلمت أجرة

دورك فيه، لذا أتوقع منك أن تنفّذه حرفياً. وليس أن تفعل ما يحلو لك بعد أن حصلت على النقود».

من ناحية شعرت بالزهو للهجتها الحازمة، ومن ناحية أخرى بصعوبة الفراغ.. الشعور بأنها تلقي بعيداً شيئاً مهماً، شيئاً يمكنه ان يشتري حياتها.

نظرت إلى القهوة السوداء الثقيلة التي كانت في أمسّ الحاجة إليها، وأدركت أنها لن تستطيع أن تبتلع منها جرعة واحدة، إذ في حلقها غصة مؤلمة، ولكنها أضافت قائلة:

ـ إن كنت تريد علاقة عابرة لتتسلى خلال الاشهر الأثني عشر القادمة، فانس الأمر.

وعقدت ذراعيها على صدرها وقد بدا العناد على وجهها.

ـ أنا لست دمية بين يديك لتلهو بها، يا سيد كول، فلدي مشاعر.

فقال بلطف: «أعرف ذلك، يا سيدة كول. لكن السؤال، متى ستطلقين العنان لتلك المشاعر؟».

تملكها الضيق والاضطراب لرقة صوته وحلاوته، ولمعان عينيه الذهبيتين المغناطيسيتين، ولمناداتها بالسيدة كول. وعضت شفتيها لتمنعهما من الارتجاف، ثم ذكرت نفسها بالمرأة الأخرى. وقالت بصوت خشن: «أنت لا تعلم شيئاً عني، لكنني أظنني عرفتك بما يكفي لكي أرى فيك شعوراً واحداً حقيقياً، وهو أنك مغرم بأخت صديقك، كلو أبوت. وبما أنك تريد أن تتزوج أخت صديقك هذا، فهو لن يقوّمك بدرجة عالية. وربما يضع لك صفراً على عشرة، كما أتصور. وأظن أن المال هو سبب موافقتك على الزواج بي، وبعد

عام، لن تكون خالي اليدين، وستستطيع أن تستغل القسم الأكبر من المال في مساعدتها على المباشرة بعمل، فتكون شريكها فيه. ولكن لا تنتظر مني أن أسلّيك أثناء انتظارك لها».

* * *

٩ ـ مستنقع الخداع

تنهد جيثرو وراح يشتم بصمت، إذ لم يكن ينوي أن يكشف أوراقه بهذه السرعة ويخشى أن يكون قد أفسد خطته كلها عدره الوحيد هو اعتقاده أنها ليست من صائدات الكنور

أضف إلى ذلك، تجاوبها المرتجف مع لمساته عندما أخذ يمتد كتفيها، مزيلاً بذلك توترها، وفقدانه سيطرته على نفسه وتلاشي إرادته القوية أمام رغبته الجامحة بضمها إلى صدره

ولكن تصرفه هذا كشف نواياه، وأوحى لها بتلك الفكرة الغريبة عنه وعن كلو، فالرجل المعروف بتحليه بأدهى الأدمغة العملية في العالم، أفسد وبشكل شنيع للغاية، خطته في التودد إلى روحته زوجته.

كان عطشه إلى الارتواء من نبع حنانها شديداً إلى حد أنه قد يحطم جدار اللامبالاة الذي بنته حول نفسها ليعيد إليها جمال الحب وتألقه.

كان ولعه بها مدمّراً، وعلى الرغم من الجهود التي بذلتها في إنكارها لهفتها إليه، إلا أنه لاحظ تجاوبها وأدرك أن بوسعه أن يحملها على الاعتراف به بسهولة. فإن ضمها بين ذراعيه فستفقد سيطرتها على نفسها، وتطلق العنان لمشاعرها الدفينة

لكنها بدت بالغة التوتر والتحفظ، ودراعاها ملتفتان حول جسدها الرشيق والواقع أن أشعة الشمس المنسربة من بين أوراق الشجر، جعلتها أشبه بمخلوقة أثيرية... لم تشرب قهوتها، وظهرت في عينيها نظرة شجية حدثته بأنها قد تفكر بالهرب.

بلغ به غرامه بها مبلغاً! فهو يحبها من كل قلبه. ولكن عليها أن تشعر أولاً بالثقة نحوه لتسلمه مستقبلها وسعادتها، وتعود بعدها وتستسلم له بكليتها.

لم يكن بوسعه التراجع، وعليه أن يجد طريقة يخفف بها من الضرر الذي أحدثه، فقال لها برقة:

ـ أخطأت حين حسبت أنني أحب كلو.. لطالما أعتبرتها أختاً لي، وهذه هي الحقيقة.

نظرت إليه غير مصدقة. أتراها متشككة؟ إنها لا تثق به وعليه أن يجد حلاً لذلك، ويقول شيئاً أكثر إقناعاً، ولكن لفكرتها الخاطئة عن مشاعره نحو كلو جانباً أسمى.

أدركت، بالغريزة، سبب محبته لأخته. إذ كانت كلو كل ما لديه من أقرباء، فأبوه ميت وأمهما هجرت البيت بعد ولادة كلو بشهر، وكان يشعر بالقلق حيال الصغيرة الجريئة عندما كانت تحاول إلقاء نفسها من فوق حاجز السرير، وكان ينصحها، مويخاً تارة، ومحاولاً إقناعها تارة أخرى. وكم كان سروره عظيماً عندما أخذت تقوم بشيء ينفعها في حياتها. أما آلي فالتقطت هذه الذبذبات، وهذا يعني أنها بدأت تقرأ أحاسيسه، وتهتم به لشخصه باعتباره إنساناً وليس وسيلة إلى غاية.

إنه أمر إيجابي، وعليه الآن أن يتحلى بالصبر فحسب.

أبعد قهوتها التي أصبحت باردة، واستبدلها بكأس عصير برتقال.

أجفلت قليلاً وكأنها أحست بتهديدٍ ما، فانقبض قلبه ألماً، فقال بلطف، كارهاً واقع أن تراه خطراً عليها: «كلو سيدة جميلة. في سنك تقريباً، ولكني لا أضمر نوايا سيئة بالنسبة إلى عفّتها. كما أن الزواج بها، مستحيل. ثم..».

وانخفض صوته: «إنني أفضل الشقراوات الزرقاوات العينين، الطويلات، الرشيقات، الرقيقات..» ولاحظ أن الاحمرار علا خديها، فسكت عن الكلام.

كان واثقاً من أنها فهمت ما يقصد، فهو لن يستعجلها، ولن يعود إلى ما كان أخطأ في قوله سابقاً. ولكن ثمة فكرة أخرى خاطئة عليه أن يصحّحها.

كان قلبه يخفق بين ضلوعه، لكن صوته بدا هادئاً، وهو يقول موضحاً: «عنيت ما قلته بالنسبة إلى رغبتي في أن يكون زواجنا حقيقياً. لم أقل ذلك لأحصل منك على ما أريد، ولكنني كنت أعني إلى الأبد، إلى أن يفرقنا الموت.. كنت أقصد رابطاً أبدياً، وأطفالاً..».

قفز إلى شفتيها السؤال (لماذا؟)، ولكنها كبحته. لم تشأ أن تسمعه يحاول أن يقنعها بأنه يحبها، لأن هذا غير صحيح. ولكن، أتراها تريد أن يكون صحيحاً؟

لم تستطع أن تجيب. أما السبب الوحيد، الذي يحثه على جعل زواجهما حقيقياً فهي الأموال التي تجنيها. أتراه يعتقد بأنه وقع على صيد حسن، وأنه لن يضطر بعد اليوم لأن يزعج نفسه بالعمل كمنظف

نوافذ ليكسب لقمة عيشه؟

ولسبب تجهله، لم تستطع تصديق هذا أيضاً. ربما هي نبرة الإخلاص التي بدت في صوته حين أنكر علاقته بكلو، وتحدّثه عن رغبته بجعل زواجهما حقيقياً، وبإنجاب الأطفال.. فبعث ذلك فيها إحساساً بالثقة فيه.

شربت عصير البرتقال لتتخلص من جفاف حلقها، ثم استجمعت دفاعاتها، وقالت: «أنا لا أريد الزواج، وقد أوضحت لك ذلك عندما عقدنا هذه الاتفاقية».

ساد الصمت بينهما، وتركها تستوعب كلامه، وتدخله في ذهنها لينجلي ويؤتي ثمراً. فابتسم لها برقة وقال: «هذا صحيح. ولكنك قد تبدلين رأيك مع الوقت.. أمامك سنة لتعيدي حساباتك، فلمَ لا ندع هذا الموضوع جانباً، ونستمتع ببقية النهار؟».

وتلمّس إبريق القهوة ثم عبس مشمئزاً: «سأصنع المزيد من القهوة، فهذه أصبحت باردة. كلي شيئاً».

وأشار إلى «الكرواسان» وطبق الفاكهة الطازجة، ثم اتجه إلى المطبخ. كان يتصبب عرقاً وقلبه يخفق بشدة... جهوده في كتم الحقيقة كانت غباءً تقريباً، بينما كل ما يريده هو أن يأخذها بين ذراعيه ويقبلها ويجعل كل ذرة من كيانها تنادي باسمه.

وتأوه وهو يضع الإبريق على الموقد.

* * *

ـ هل أنت جائعة؟

ـ أكاد أموت جوعاً!

أجابته آلي بابتسامة عريضة أضاءت وجهها ومنحته جمالاً لا مثيل

له. حوّل جيثرو نظراته عنها قبل أن يدمّر إشراقها هدا، خطته في إبعاد يده عنها، ثم أنزل حقيبة ظهره التي فرغت من الفاكهة والماء وفتح النوافذ.

نظر إليها، وقد عجز عن كبح نفسه. كانت مجموعة من النمش الخفيف تعلو أنفها، وكانت بشرتها محمرة، وانعقدت حبيبات العرق فوق شفتها العليا المستديرة. فقد أمضيا معظم النهار الأول من شهر عسلهما المزعوم، في استكشاف المنطقة الريفية حولهما. فطافا في الحقول والغابات، حتى بان تأثير الجهد والهواء النقي عليها. فبدت ناعسة، ملوّحة البشرة، وقد فكّ زر من قميصها الأبيض الذي لطخه الفطر الذي جمعته من الغابات.

شعر برغبة في تقبيل تلك النمشات على أنفها، ومداعبة شعرها الثائر بأصابعه حتى يوقظ فيها كل مشاعرها الدفينة فيتلاشى نعاسها.

ولكن عوضاً عن ذلك، قال لها وهو يتذكر أحد الأسباب التي جعلته يقع في غرامها: «لا أراك موسوسة بمظهرك، بالنسبة إلى عملك كعارضة أزياء، وأنا أجد في ذلك ميزة حسنة. ثمة غصن دقيق في شعرك».

ومدّ يده يزيح الغصن، فارتجفت أصابعه وهو يلمس شعرها الأشقر اللامع الكثيف.

وشهقت هي رغماً عنها، ولكنها أحالت الشهقة إلى تثاؤب كي لا يتساءل عن السبب الذي جعلها تشهق للمسه شعرها. ورفعت أصابعها تغطي بها فمها، ثم استرخت في جلستها وهي تقول: «إني أتزيّن أمام الكاميرا ساعة عرض الأزياء، فقط».

وغضنت أنفها وهي تقول: «ما تراه هو ما تحصل عليه».

ويا ليتني أحصل عليه! أخذ يفكر في ذلك بعنف، ثم أشار إليها يدعوها إلى الدخول، وقد وقف بعيداً عنها بأدب، فأدرك أن تمثيل دور الأخ الأكبر أصعب مما كان يظن. ولكنه أحسن فعلاً خلال ذلك اليوم الصيفي الطويل.

ـ لا بد أن هذا مكتبه.

هتفت بذلك وقد شعرت بالاهتمام حيال الغرفة الصغيرة، وأخذت تتأمل الجدران المكدسة بالكتب: «لا بد من أن هناك المئات من الكتب».

ومرت بيدها على بعضها. وقد بدا لها أن كل واحد منها قد قُرئ. كان ذوق مضيفها يتراوح بين «ديلان توماس»، «بروست»، «ديكنز» وعدد من المجلدات الضخمة التي تتناول البيئة وإصلاح الأراضي، وقد بان عليها كثرة الاستعمال.

سألته بصوت بالغ الحماسة: «هل هو من هواة الزراعة أم ربما من أنصار البيئة، إلى جانب تمتعه بعقل عملي؟».

كان شعورها بمعرفة صديق جيثرو، هذا، مريحاً بشكل غريب، لا بل أوشك أن يبدو غير طبيعي، ولكن عطفها عليه لحرمانه من عطف الأبوين، وتلاؤم ذوقيهما، وتعمدها تسليط الضوء عليه والتحدث عنه، وضع جيثرو، وتأثيره عليها، في الظل مؤقتاً.

ـ نادراً ما أقرأ عن الاشتراكية.

قالت ذلك وهي ترى كتاباً لـ «ب.د. جايمس» لم تكن قد قرأته، فقررت أن تستعيره وتأخذه معها إلى غرفتها بعد تناول الطعام. فإن شغلت ذهنها بالقراءة تناست ما يجري لها، وإرهاقها وتوترها.

ـ إنني أجد، في الكتاب صديقاً رائعاً وأظن أن حبي للأرياف هو من تأثير أمي فيّ، وتأثير السنوات التي أمضيتها في ستدلي

تملكها شعور بالحقارة وهي ترى نفسها معتوهة بشكل محزن ولكنها تابعت لاهثة: «أظن أن صديقك يشعر بالارتياح في الأماكن الفسيحة الخالية من البناء، وإلا لما احتفظ بهذا البيت بعد أن استقلت أخته بحياتها».

ـ ما أجمل اهتمامك بهذا الرجل!

قال جيثرو ذلك بلهجة رسمية متكلفة، ولكنه ما لبث أن ندم لزج نفسه في هذا الموقف الهزلي المضحك، الذي يغار فيه من نفسه! وتنفس بعمق، وتمنى لو أنه لم يبدأ بهذه التمثيلية، ولكن عليه أن يستمر فيها حتى يحين الوقت المناسب. فإن اعترف بأنه هو نفسه المضيف الغائب فلن تصدقه، وستظنه مجنوناً.

ـ أظنه ينوي الاستقرار هنا بشكل دائم تقريباً، فهو مكان ملائم لإنشاء أسرة كما أنه يحب المحافظة على الطبيعة. ولقد اجتزنا هذا النهار جزءاً بسيطاً من أراضيه.

علم أن صوته جاف، لكنه لم يستطع أن يلطفه، إذ ساوره شعور كريه بأنه لم يصل معها إلى نتيجة، فهي أكثر اهتماماً ببيل أبوت الزائف منها بالشخص الواقف أمامها. لأن الرجل الذي تزوجته، منظف النوافذ المفلس، لا يستحق أكثر من نظرة عابرة.

كانت قد أدارت ظهرها إليه، وشعرها الطويل يتأرجح إلى الأمام فيخفي وجهها، ولكنه لمح احمرار بشرتها ورفرفة أهدابها الكثيفة وهي تخفي عينيها المعبّرتين. ولاحظ أنها عثرت على صورة أخته في إطارها الفضي، وفي نيتها أن تحتفظ في ذاكرتها بتلك الملامح

الجميلة والشعر الأسود

ـ هذه كلو

قال ذلك بلهجة جافة، وشعر بحاجة إلى الخروج إلى الهواء الطلق لقد أغرق نفسه في مستنقع الخداع، وعليه أن يجد طريقة ليخلص نفسه قبل أن يقول أو يفعل شيئاً يدمّر أمله في اكتساب ثقتها، ناهيك عن حبها

ـ أرى أن نرتاح، نحن الاثنين. ثم نجهز شيئاً للعشاء.

خرج من الغرفة لأنه لم يستطع البقاء قريباً منها. عليه أن يضع خطة محبكة ولن يتمكن من التفكير بصفاء إن بقي إلى جانبها

أعادت آلي الصورة إلى الرف. كانت كلو جميلة للغاية، ولكن صوت جيثرو، بخلاف المرات الماضية، لم ينطو على درة دفء وهو يتحدث عنها أهذا يعني أن ما قاله كان صحيحاً، وأن ما من مشاعر عاطفية تربطه بكلو أبوت؟ أم أنه مستاء منها هي فحسب؟

هل لأنها أخذت تثرثر عن صديقه الذي أصبح القاسم الوحيد المشترك بينهما؟ وعندما أخبرها أن صديقه يملك مساحات واسعة من الأراضي المحيطة بالمكان، بدت عليه الهزيمة، مما أثار استغرابها لأن جيثرو، بالرغم من فقره يتمتع بثقة في النفس وكأنه قادر أن يملك العالم عند قدميه لو أراد ذلك فقط

قطبت جبينها وهي تصعد إلى غرفتها، ثم خلعت ثيابها ووقفت تحت «الدوش» أتراه يشعر بعقدة نقص إزاء الرجل الآخر، الثري المتألق؟ هذا محتمل جداً نظراً للهوة الشاسعة بين زميلي الدراسة فهل تقول له إن متاع الدنيا كله لا يعني شيئاً ما دام الإنسان يحتفظ بكرامته؟

قررت وهي ترتدي ملابسها ألا تفعل ذلك فسيظنها تستعلي عليه، ومن الأفضل أن تبقي العلاقة بينهما سطحية قدر الإمكان.

ولكنه تحدث مطولاً عن صاحب هذا البيت، ولم يذكر شيئاً عن نفسه، وأسرته وحياته السابقة قبل أن ينتقل ليعيش مع جدته.

كان النهار حاراً، فاكتفت بارتداء قميص قطني ناعم وسروال قصير. لن تقول له شيئاً يجعله يظن أنها تريد أن تصبح علاقتهما شخصية. ولم تعرف لماذا أخذت تثرثر عن صديقه الرائع الناجح. وكأنها تحاول أن تعيّره بفشله.

عندما اقترح، في البداية، أن يخرجا للنزهة معاً، رفضت ببرودة، إذ كان ذهنها مشغولاً بكلامه عن رغبته في جعل الزواج حقيقياً وهذا ما أيقظ فيها مشاعر ورغبات لطالما اعتبرتها عيباً.

ولكن بدت لها الأعذار التي لفقتها في ذهنها لرفض الخروج معه واهنة أو سخيفة، فقبلت مرافقته من دون قلق لأنه كان مثال الرفيق العفيف.

ولكن بينما كان في الشرفة في آخر هذا النهار الممتع، وأبعد ذلك الغصن عن شعرها، إذا بكل شيء يتغير بالنسبة إليها.

فتلك اللمسة الصغيرة لشعرها حثتها على التنبه إلى كل ما يتعلق به.. طوله، عرضه، رائحته، وأكثر من أي شيء آخر، الرجولة المتفجرة منه. وإذ سرت رعشة في عروقها، تحول الزواج من هذا الرجل إلى إغراء من الصعب مقاومته.

ولما وعت هذا الخطر الفجائي المحدق، دخلت المكتب، حيث أخذت تثرثر بحماقة أزعجته، وجعلته يشعر بالنقص. فما كان منها إلا أن أنهت ذلك النهار الممتع بتصرف فظ.

ربما هذا من حسن حظها، والفظاظة هي أفضل من من وقع نظراته الدافئة على ملامحها حين عاد يعلن عن رغبته في أن يجعل زواجهما حقيقياً وأن ينجب منها أولاداً، ومن تلك المشاعر التي تساورها كلما اقترب منها

الأفضل أن تبتعد عن ذلك

فلماذا هذا الشعور بالهزيمة إذن؟

ورفضت أن تبحث عن جواب لسؤالها، ونزلت إلى المطبخ لتباشر بإعداد العشاء.

* * *

١٠ ـ جبانة

تناولا العشاء على الشرفة ولكنها لاحظت أن كليهما اكتفى بتحريك طعامه في الصحن بشوكته

كانت آكي قد شوت لحماً وأعدت سلطة من الخضار التي وجدتها في قعر الثلاجة. وعندما جاء جيثرو قال باقتضاب: «لا تقلقي، سنشتري مؤناً بدلاً من التي استهلكناها قبل أن نرحل، لأننا لا نريد أن يخسر الرجل الذي يملك الكثير شيئاً. أليس كذلك؟».

أدركت أنه لا يزال غاضباً منها، أو مجروح الكرامة، شاعراً بالنقص. فقد أبدت اهتماماً كبيراً برجل فاحش الثراء على خلاف الرجل الذي تزوجته، مما أثار استياؤه. لكنها تلهفت إلى أن تخفف عنه ألمه، بالهمس له أن فقره لا يهمها، وأنه قادر على تحقيق المستحيل، علّه عندها يستعيد كرامته. ولكن، ألم يسبق أن قررت بألا تتطور علاقتهما لتصبح شخصية وحميمية؟ وحالما تم الزواج أعلن عن نواياه ولا يمكن أن يكون أعمى إلى حد أنه لم ير مدى انجذابها إليه. صحيح أنها بذلت جهدها لإخفاء مشاعرها، ولكن يبدو أنها لم تبذل جهداً كافياً

ولم تقل شيئاً.. لا شيء ذا أهمية. وأخذت تتأمل مغيب الشمس، ونور الشفق يلف الحدائق، وهديل الحمام يتردد في

الأجواء، وهي تدرك أنه، مهما حدث لاحقاً، فهي لن تستطيع أبداً أن تسمع هديل الحمام من دون أن يملأ قلبها هذا الحزن الذي جعله يشعر بالبرودة والوحشة.

وفوجئت به يقول بصوت خشن، يتناقض مع جمال الشفق: «هل أنت دوماً بهذه الثقة؟ لا ترين سوى ما هو تحت أنفك وتعتبرينه الحقيقة كلها؟ ألا تنظرين مطلقاً إلى ما وراء المظهر الخارجي للأشياء؟».

لم يعلم لماذا قال ذلك، لكنه أراد فقط أن يعبر عن مكنونات قلبه، إذ، رغم إحساسها تجاه ما يدور بينهما من مشاعر، مشاعر هي أيضاً تعاني منها، بدت عاجزة عن رؤيته بشخصيته الحقيقية. إنها تتحمّله فقط لأنها مضطرة إلى ذلك. أما إعجابها فمنصبّ على الشخص المبهم الذي يملك البيت والأراضي، ومنزلاً في حي «مايفير» في لندن، وطائرة خاصة وأعمالاً منتشرة في أنحاء العالم أجمع.

ضاقت عيناها

ـ أخبرني ماذا تعني بذلك؟

راقبته بإمعان وكأنها تحاول قراءة أفكاره.. بدت مثيرة جداً، في ذلك الضوء الخافت وشعرها يومض كالذهب، وعيناها مشتبكتان بعينيه وشفتاها ناعمتان مسترخيتان بشبه ابتسامة. أتراها حالمة من تأثير الجو الشاعري؟

كانت يداه ترتجفان تحت المائدة... تنفس بعمق. فلن يستطيع أن يخبرها بأنه الرجل الذي يملك كل شيء، الرجل الذي بدا جلياً تعاطفها معه، وحتى إن صدقته، فهو لا يريد أن يراها تعيد تقويم

الأمور، معبرة عن إعجابها واحترامها لإنجازاته تلك وليس للإنسان الذي فيه.

وبدلاً من ذلك، قال لها: «لقد اتخذت لنفسك مهنة متألقة في مواجهة ما لا بد أنه وضع صعب، وظننت أنك تعلمت الحذر. ولكن إذا بك تتورطين في هذا الزواج، حتى أنني نهيتك عن الدفع لي قبل أن أوقع أوراق الزواج، أتذكرين؟ وظننت أن لديك، من الوعي، بحيث تصرّين على أن أوقع على الشروط قبل الزفاف، إذ بعد الطلاق قد أطالب بجزء من دخلك».

لاحظت نبرة المرارة في صوته، فأسرعت تقول له: «حسبتك لا تريد الطلاق».

لم تعرف لماذا قالت ذلك. من المؤكد أنها تتمنى نسيان كلامه لها هذا الصباح. أتراها شاعرية المكان تتحدث بلسانها؟

اتكأ إلى المائدة بساعديه اللذين لوحتهما الشمس وهو يقول برقة: «هذا صحيح، أنا لا أريد الطلاق. صدقيني يا حبيبتي، أنا لا أريده. أردت فقط أن ألفت انتباهك إلى تهورك، فقد أكون أسوأ إنسان في العالم».

أخذت تضحك بهدوء وهي تعترف: «لست غبية إلى هذا الحد. فأنا أثق بك يا جيثرو، وإلا لما اقترحت عليك الزواج».

أدركت فجأة أنها لطالما وثقت به.. كانت تعرف في أعماقها، أنه جدير بثقتها.

- ها تثقين بي حقاً؟

اتكأ إلى الخلف في كرسيه، وعقد ذراعيه على صدره. كان يرتدي قميصاً أبيض فضفاضاً، من الحرير الممتاز، مفتوحاً عند

العنق، وكماه مثنيان إلى أعلى. وقد شعث النسيم شعره الأسود الكثيف ولكن الظلام بدأ يهبط وكان من الصعب رؤية التعبير الذي ارتسم على ملامحه. ولكنها شعرت بتوتره تحت مظهره البارد ذاك.

كم تمنت أن تخفف من توتره، ولكنها لم تعرف كيف. إلا إن شاءت أن تخضع لغريزتها العمياء التي كانت تدفعها إلى أن تدس أصابعها في شعره الأسود الناعم.

وطردت تلك الأفكار المربكة من ذهنها. صحيح أنها تثق به، لكنها لا تستطيع أن تثق بتأثيره فيها. «هل لنا إذن أن نستمر في العمل على هذا الأساس؟»

أراد أن يعتبر إقرارها هذا أمراً مسلماً به.

- أخبريني ما الذي حث عمك على وضع ذلك الشرط في وصيته؟

نظرت آلي إليه بطرف عينيها. كانت متوترة من إحساسها بتلك المشاعر المتأججة نحو هذا الرجل زوجها، وخفق قلبها بشدة بعد أن تبين لها أن لزواجهما معنىً أسمى من مجرد وسيلة للحصول على قصر «ستدلي».

لم تتوقع منه أن يطرح هذا السؤال. لقد توقعت ماذا؟ شيئاً حميماً أكثر؟ محاولة للتقرب منها أكثر ؟ تأكيده ثانية على رغبته في جعل زواجهما حقيقياً؟

ابتلعت جرعة من عصيرها ممزوجة بخيبة الأمل. وهي تعنف نفسها بألا تكون بهذا الغباء، ثم هزت كتفيها بخفة، قائلة: «لم ألم عمي قط لرفضه تجديد عقد الإيجار، فستدلي كان ملكه وأراد أن يتزوج، ويعيش فيه، لكنني كرهت السرعة التي طردنا فيها منه وبعد

مرور سنتين، انهار زواجه، وعاد «ستدلي» خالياً، سبق أن أخبرتك بذلك. لقد حطم فؤاد أمي عندما سمح لها بالعودة إلى المنزل شرط أن يغازلها ساعة يشاء. حينذاك كرهته أشدّ كره».

- فهمت.

نظرت إليه من بين أهدابها، ثم عادت تعبث بكوبها، لم بلغ اهتمامها بهذا الرجل إلى هذا الحد؟ فلم تعد ترى في الكون سواه؟

- أنا.. حسناً، لم نره أو نسمع عنه منذ سنوات طويلة، ولم نكن نرغب بذلك. وعندما استلمت عملي، كان عليّ أن أعرض الأزياء في مناسبة خيرية، وكان عمي هناك. كنت أعلم بأنني لن أكون مهذبة معه، لذا حاولت جاهدةً أن أتجنبه وعندما نزل في أثري، كنت مستعدة لمجابهته.. بدأ يقول إنني أشبه أمي في صباها، ولا بد أنني أبحث عن زوج، فهل هذا هو السبب في اختياري مهنة عرض الأزياء.. هل أبحث عن فرصة جيدة للعثور على زوج غني يريد زوجة جميلة يزهو بها؟ كان يتحدث إليّ بنبرة ساخرة ويرمقني بنظرات قذرة. وأضاف قائلاً إنني ورثت عنه ذكائي، لأن والديّ هما مجرد حالمين، ولهذا لا يظنني سأقترف غلطة أمي وأتزوج رجلاً فقيراً عاجزاً لا يمكنه أن يمنحني حياة مترفة. عندها استشطت غضباً، وقلت له إنني لا أنوي الزواج بأحد أبداً. وإن كان هو نموذجاً لجنس الرجال، فأنا لم أخطىء في عزمي هذا».

وابتسمت لجيثرو بأسى، مضيفة: «لم نفترق طبعاً بشكل ودي، وسمعت بعد ذلك أنه مات بنوبة قلبية مفاجئة. وأظنه وضع ذلك الشرط في وصيته من حقده عليّ. أراد أن يريني ما أخسره بعدم زواجي».

وساد صمت عميق.

وتحركت آلي في كرسيها شاعرة بالحرارة، شاكرة عتمة الجوّ التي جعلت جيثرو غير قادر على رؤية مدى انزعاجها لصمته هذا.

وعندما أصبح صمته لا يطاق، قالت تدافع عن نفسها: «لا أشعر بالخزي لأنني هزمته بهذا الشكل».

شعرت بسخافتها عندما مال إلى الخلف، وضغط زراً على الجدار، فأضاء الشرفة بضوء خافت، ثم قال: «لم أقل إنه عليك أن تشعري بالخزي، فأنا شريكك في هذا بمحض إرادتي».

أرسلت عذوبة لهجته، رجفة في كيانها وأخذت تتمعن في كلماته مفسرة (شريك) بـ (أليف) و(أليف) بـ(زوج)، فعادت إلى رأسها الأفكار المربكة التي جاهدت لكي تطردها منه.

ترنّح الكوب من يدها، من دون وعي منها، فسالت منه قطرات الشراب على سطح المائدة الأبيض. حاولت، مرتبكة، أن تمسحها بأطراف أصابعها، لكن جيثرو أمسك بيدها، ثم أبقاها في يده، وتمنت هي لو أنه لم يفعل لأن أصابعها التفت بشدة، على أصابعه وارتجف جسمها لملامسته لها، وأخذ قلبها يتخبط بين ضلوعها بشدة حتى كاد يسمعه.

قال بصوت مرح: «ولماذا صممت على عدم الزواج؟».

فسحبت آلي يدها وكأن يده أحرقتها، وكانت تتساءل عما إذا كان يسخر منها.

ربما إن أخبرته كل شيء، قد يفهم السبب الذي جعلها تصمم على قضاء حياتها وحيدة.

تمهلت في الجواب، فمال إلى الخلف، في كرسيه، وفي عينيه

نظرة غامضة، وقال بلطف: «أنا أعرفك جريئة ومفعمة بالحيوية والنشاط، فلا تخبريني بأنك خائفة من الحب، والمشاعر»

انقبض قلبها. إنه يسخر منها، إذ أن أسبابها قوية مستمدة من المنطق، فقالت ببرودة: «أنا لست خائفة، وإنما عقلانية، لا أريد أن أنتهي مثل أمي، أو خالتي فران. لقد وقعتا في الغرام، وانتهى بهما الأمر وحيدتين مهجورتين. ورأيت ما فعل ذلك بهما، أصبحت خالتي كئيبة مليئة بالمرارة، أما أمي»

وهزت كتفيها باسطة يديها بعجز: «فقد ضاعت، ولم يعد لديها ما تعيش لأجله منذ سنوات، أخذت على نفسي عهداً بألا أأتمن رجلاً على أحلامي أو سعادتي الشخصية ومرة بعد مرة كنت أرى نفسي على صواب، فقد رأيت كثيرات من صديقاتي وزميلات المدرسة وهن متلهفات إلى الزواج والسعادة تغمرهنّ، وإذا بهن يسرن نحو الطلاق بعد ذلك بستة أشهر. الحب، الشهوة.. سمها ما شئت، فما هي إلا كلمة تصف بها حاجة الجنس البشري للتناسل. فإن هي دامت، تجعل منك إنساناً عاجزاً معرضاً للآلام، معتمداً على غيرك، وإن تبددت تركتك في الفراغ والوحشة»

ـ آه، إنه رأي لاذع وساخر.

قال لها ذلك عندما توقفت تستجمع أنفاسها، فقالت وقد ضاقت عيناها: «لا، بل عمليّ»

فأطلق آهة خافتة ما كانت لتسمعها لولا حسّها المرهف وأضاف قائلاً: «أنت تعلمين أنني أريدك، وإن استطعت الاعتراف بذلك، فمشاعرنا ستكون متبادلة. لا يمكنك التغاضي عن ذلك الاحساس الذي يسري في كيانك عندما أقترب منك وعن النيران التي تستعر في

عروقك كلما لمستك».

وإذ أراد أن يثبت تأثيره فيها، مدّ يده من فوق المائدة، ولامس دراعها بخفة. انحبست أنفاسها، مدركة أنه عليها أن تبعد يدها عنه، لكنها لم تشأ ذلك.

نهض واقفاً وهو لا يزال يمسك بيدها يشدّ عليها، ثم اقترب منها يساعدها على النهوض لتقف قريبة من جسده القوي. لف خصرها بيده بخفة، لكنها لم تستطع التنفس وهي ترتجف لما تتوقعه. رفعت وجهها إليه لتنظر في تألق عينيه الذهبيتين وفتحت شفتيها ليخرج الهواء المحبوس في صدرها مرتجفاً. عرفت أنه سيعانقها، ولن تسمح له بذلك هذه المرة، ولكن لهفتها إليه دفعتها إلى الاقتراب منه غريزياً، ليتلامس جسداهما فجعلتها حرارة جسمه ترتجف، وتشعر بوهن في عظامها.

تشبثت به عندما وضع يديه على قميصها القطني لأنها أرادت أن يسندها. وتأوهت برقة وهي تطوّق عنقه بذراعيها وأصابعها تتخلل شعره الناعم وهي تهمس باسمه بصوت خشن ثقيل:

ـ جيثرو

لكنه أبعد يديه عنها ليمسك بيديها ويرفعهما إلى فمه ويطبع على أصابعها قبلة خفيفة.

ـ سمي ذلك غريزة التناسل، إن شئت، ولكنها ليست بداية سيئة، وتعني لي أكثر من ذلك بكثير.

لسعتها لهجته الهادئة المتزنة بقسوة، وشعرت بالبرودة والضياع، بشكل مخيف. لم تشأ أن تسمع كلامه وعيناه تحدقان فيها بكآبة واضحة: «أنا أحبك، لا بل مغرم بك، ولن أكف عن حبي لك طالما

حييت. فما رأيك في بداية كهذه؟ قد تقعين في حبي إن منحت نفسك الفرصة لذلك. ولكنك لا تؤيدين الرأي القائل إن العالم ضائع من دون الحب، فأنت لا تجازفين بمشاعرك خوفاً من أن تتألمي. قد لا يعجبك ذلك، ولكن لا يمكنك أن تكبحي رغباتك ومشاعرك، ولا يمكنك إنكار ذلك الضعف خوفاً من الغدر».

ابتعد عنها خطوة وظله الأسود يلوح فوقها، مما جعله يبدو، أضخم وأقوى. كل كلمة قالها كانت أشبه بسكين أغمدت في قلبها. . طلب منها أن تحبه لكنها لا تستطيع. فما يطلبه هو أن تعرّض نفسها لكل الأشياء التي تخشاها، خيبة الأمل وجرح الفؤاد، وهذا ما لا تريده.

ـ اذهبي إلى فراشك.

قال لها ذلك بصوت هادىء، أثار غضبها.

ـ استلقي في سريرك آمنة واسألي نفسك إن كنت تدركين ما تخسرينه. ولكنني أشك في أن يعطيك قلبك الطاهر الجواب لأنك جبانة، يا أليسا.

* * *

١١ ـ فردوس الحب

جبانة

أطلق هذه الكلمة كالرصاصة في عقلها لتستقر فيه وقتاً طويلاً، ثم دار على عقبيه عائداً إلى المنزل المظلم

أنكرت كل درة في كيانها هذه الإهانة، وسارت على الشرفة غاضبة، عاقدة ذراعيها على صدرها. . كيف يجرؤ على اتهامها بالجبن؟ كيف يجرؤ؟

أليست هي تلك الفتاة القوية التي حالت دون انهيار أمها بعد أن انتحر أبوها، قبل سنوات عديدة؟ أليست هي التي سعت لتعمل في عرض الأزياء، رغم كرهها لهذه المهنة، لأنها وجدت فيها الطريقة الأسرع والأفضل لتحصيل المال؟ المال الذي كانت بحاجة إليه لتعيش أمها مستقرة في منزل ريفي خاص بها، فتعيد بذلك إليها شيئاً من سعادتها المفقودة؟

لقد أمضت سنوات تجري الجراحات التجميلية الصعبة وتقف مبتسمة أمام عدسات التصوير بأوضاع خاصة، متكلفة دوماً إظهار شخصية مغايرة لشخصيتها، وذلك قبل أن تصل إلى القمة، وتجلس متربعة عليها. وعندما تحداها عمها فابيان بتلك الوصية، قبلت التحدي من دون تردد أو وخز ضمير فكذبت أمام المحامي.

أولم تتحلَّ بالشجاعة الكافية لتعرض الزواج على حيثرو! فكيف يتهمها إذن ؟

جمدت قدماها وتقلصت معدتها. لقد فعلت شيئاً مختلفاً تماماً. فهو بلا شك مؤمن بقدرتها على تحمل مسؤولية حياتها. والاعتماد على نفسها، إنما كان يتهمها بالجبن من ناحية الاعتماد عليه وعلى حبه.

عادت تجلس على كرسيها بضعف.

هل هي، من الشجاعة، بحيث تتقبل حبه. وتؤمن به؟ وترضى مبادلته بالمثل؟ لم تكن تعرف.

قبل ساعة كانت تعرف الرد، لأن الطريق الذي أرادت السير فيه واضح تماماً.. إنه طريق الأمان. ولكن.. ها هي الآن تعيد النظر فيه!

تفتح السؤال داخلها كالزهرة، وإذا بها تعترف بالأجوبة التي ليست سوى الحقيقة... أراحت رأسها على مسند الكرسي وتركت الأمور تأخذ مجراها. تركت الدفء يتغلغل في عروقها، والأجوبة تتواتر بسرعة.

لم يؤثر فيها رجل آخر مثلما أثر هو فيها

لم يصل رجل آخر إلى قلبها ليجعلها تتق به عربياً، وتهتم بما يحدث له. إن انتهى زواجهما كما خططت له، واختفى هو من حياتها، فلن تستطيع احتمال ذلك.

لن تدع ذلك يحدث، فهو زوجها وستتخذه رفيقاً لها وقلما يهمها إن كان فقيراً، ففي داخل جيثرو كول طاقات عظيمة، وتحيط به هالة من القوة والطموح يجهلها، ويمكنهما، معاً، أن يحققا

المستحيل.

وقفت منتصبة القامة وعلى وجهها ابتسامة رقيقة، ثم دخلت المنزل عازمة على أن يصبح زواجهما حقيقياً هذه الليلة. زواج مبني على الحب، زواج يدوم إلى الأبد.

وها هي تتحلى بالشجاعة الكافية لتخطو هذه الخطوة.

* * *

أخذ جيثرو ينظر عبر نافذة غرفته، لكن الظلام منعه من رؤية شيء عدا انعكاس صورته في الزجاج

ابتعد عن تلك الصورة المنجهمة الساهمة العينين، بنفاد صبر، ثم خلع قميصه ليستحم ويخلد بعدها إلى الفراش، فإن بقي صاحياً محاولاً أن يتكهن بما يجول في رأسها، فسيصاب بصداع قوي. أخذ يفكر، مشمئزاً من نفسه، لأنه لم يعطها الوقت الكافي لتعرفه جيداً وتجعل منه جزءاً من حياتها فلا ترى مستقبلها من دونه. كما أن خططه كلها لم تثمر، ولم يعد هناك ما يمكن إنقاذه.

المشكلة هي أن عقله يتوقف عن التفكير عندما يكون بجانب آلي، فيتصرف حسب ما يمليه عليه قلبه. وبعد الذي قاله هذه الليلة لم يعد بوسعه التراجع، ولا التظاهر بأن شيئاً لم يحدث.. لقد كشف أوراقه أمامها سواء قبلت حبه أم رفضته. لكنها أبت أن تكشف نفسها وقلبها له ولهذا لم يشأ أن يجعل زواجهما حقيقياً.

أطلق سلسلة من الشتائم وهو يتوجه إلى الحمام. لعلها الآن في سريرها تخطط للهرب، أو ربما تشعر في أعماقها بالخزي لتجاوبها مع رجل لم تستطع أن تحبه. ومن يدري، قد تكون مجروحة المشاعر، لأنه رفض ما قدمته له.

لماذا لم يتجاوب معها؟ لقد أرادت أن يحملها إلى عالمه ولم يكن ذلك بالأمر الصعب، فلماذا فضل أن يتمسك بالقيم؟

لم تخفف المياه الساخنة من وطأة توتره النفسي. إذ تملكه الإحباط وهو يرى أن أسلوبه العنيد أبعده عن المرأة الوحيدة التي استطاع أن يحبها.

لم يجد إلى النوم سبيلاً. لفّ منشفة كبيرة حول خصره متمنياً لو أن سيارته «الجاغوار» معه، لقطع بها مئات الأميال، ليعود عند الصباح متذرعاً بحجة ما لتصرفه هذا.

لكن مع هذه «الفان» المتداعية، لا سبيل إلى ذلك! سيكتفي بجولة في الجوار. سيرتدي ملابسه ويأخذ مصباحاً يدوياً، ويسير حتى الفجر.

توتر فكه، وهو يعيد في ذهنه ذكرى ما حصل. ما الذي دفعه إلى هذه الغطرسة ليأمرها بأن تقع في حبه، وإن لم تقدر على ذلك ينعتها بالجبن؟ لن يلومها إن شهدت بأنه مجنون!

وجد غرفته غارقة في الظلام، مع أنه تركها مضاءة. هل احترقت كل الأضواء؟ مستحيل. ربما انقطع التيار الكهربائي... تقدم إلى رر النور في الجدار، ولكن قبل أن يصل إليه، قالت آلي. «لماذا تأخرت؟».

سمع حفيف الملاءات القطنية في السرير المزدوج الضخم، فتساءل عما إذا كانت تسمع دقات قلبه الذي كان يخفق بشدة بين ضلوعه ليصمّ أذنيه.

قال لها بصوت مخنوق. «آلي؟».

سمعها تتمتم ضاحكة في الظلام. «وهل كنت تتوقع أحداً

سواي؟».

كانت عيناه قد اعتادتا الظلام، فاستطاع أن يرى السرير والوسائد المتكوّمة. سار نحوها وهو لا يكاد يجرؤ على التنفس. لم يطرح الأسئلة.. إنها أكثر لحظات حياته أهمية، فما قد يحدث الآن، أو يقال، سيؤثر على مستقبلهما معاً. إنه متلهف للغاية إلى أن يجمعهما ذلك المستقبل... حتى الآن كان يحاول أن يوجه علاقتهما نحو الطريق الصحيح، ولكنه الآن سيترك زمام الأمور لها، آملاً بأن تحسن التصرف أكثر منه.

استطاع أن يسيطر على صوته ولكن ليس على أفكاره. للحظات خلت كانت نيران الحب مشتعلة فيها، أتراها ما زالت تحترق بالمشاعر؟ أهذا هو سبب مجيئها إلى سريره؟ أتريده أن ينهي ما بدأ به؟ وهل سيكون ذلك كافياً؟ هل بإمكانه أن يأخذ ذلك القدر الضئيل من المتعة، آملاً أن يبني بعدها علاقة رائعة وقوية ودائمة؟

مد يده ليشعل المصباح الكائن بجانب السرير، فلاحظ أن يده ترتجف. أراد أن يراها بوضوح، وينظر في عينيها الجميلتين ويكتشف ما يدور في ذهنها.

وقع عليها الضوء الناعم، فأظلمت حدقتا عينيها الكبيرتين، وكانت خصلات شعرها الرائع منتشرة على الوسائد التي كومتها خلفها... رفعت ملاءة السرير إلى ما تحت ذقنها، وجالت عيناها ببطء، على قدّه الرائع، زاحفة بوهن، فوق كتفيه العريضتين وصدره الرحب.

اختنقت أنفاسه في صدره وشعر بغصة في حلقه وهو ينتظر. التمعت كتفاها كالعاج الفاخر فوق الملاءة. تلهف إلى أن يلمسها،

إلا أن رغبته في معرفة ما أحضرها إلى سريره كانت أعظم.

أغمض عينيه لحظة ثم تأوه، فقالت بصوت أجش: «لقد فكرت في ما قلته لي. وعندما توقفت عن شتمك ونعتك بكل الأسماء القذرة التي أعرفها، رأيت أنك على حق. لقد حان الوقت لأكف عن الخوف من مشاعري».

كانت تتنفس بصعوبة... فسرت في جسمه قشعريرة

وبقي ينتظر، ممتنعاً عن طرح الأسئلة، كي لا يرغمها على قول ما لا تريده.

قالت والاضطراب بادٍ في صوتها وعلى محيّاها: «فقررت المغامرة».

ثم أشاحت بوجهها عنه، مسبلة أهدابها الطويلة وأضافت قائلة:

ـ أظنني أسأت التصرف.

وقطبت حاجبيها مضيفة: «ما أريد قوله إنني موافقة على اقتراحك بأن نجعل هذا الزواج حقيقياً».

وتنفست بحدة وهي ترمقه بغضب: «إنك لا تسهل الأمور علي.. هلا قلت شيئاً؟ أو انضممت إليّ؟».

لاحظ نبرة السخط في صوتها، وكبح رغبة تحثه على الاندفاع نحوها. عليه أولاً أن يعرف. أتراها قررت قضاء حياتها معه، أم أنها تود اللهو ريثما تنتهي سنة زواجهما هذه؟ إذا كان هذا ما تريده، فلن يرضخ لها.

ـ لماذا؟

سألها متوتراً وقد تصلب جسده، لأن أموراً كثيرة تعتمد على جوابها له.

فقالت شاهقة: «ما هذا السؤال السخيف؟ ماذا تظن برأيك؟».

ـ أنا لا أقصد مشاركتك سريري، ولكن لماذا غيرت رأيك من ناحية ائتماني على سعادة مستقبلك؟ إننا نتحدث عن المستقبل البعيد

أومأت، بإقرار صامت، وهي تحني رأسها بتعاسة لهذا المشهد الفوضوي الذي أحدثته. ثم سمعته يكرر سؤاله، وإنما بلهجة أرقّ هذه المرة، وكأنه عرف أن شجاعتها الحديثة الولادة قد ابتدأت تتسرّب منها، قال: «لماذا؟».

ـ لأن..

وتلاشى صوتها. ولم تعد تعرف كيف تعبر له عن شعورها، ولكن فكرة خسارة هذا الرجل جعلتها تندفع قائلة: «إذا كان الحب يعني أن تستعر النيران في عروقي عند كل لمسة منك، أو أن أصاب بالذعر بمجرد التفكير في أن أي ضرر قد يحدث لك، أو أن أشعر بالخوف لاحتمال ألا أراك ثانية، يمكنني القول إذن إنني أحبك».

كانت أصابعها تعبث بملاءة السريرة بتوتر.

وقف جامداً، وقد أخذ جسده المتناسق الرائع يرتجف، وضاقت عيناه الذهبيتان، فخافت من أن تكون قد اقترفت أكبر غلطة في حياتها.

عادت إليها ذكرى صدّه لها عندما توسلت إليه أن يلمسها، فملأها ذلك خزياً، وها هي الآن في سريره من دون أن يهتم بها. أهو من الذين يفضلون الإمساك بزمام الأمور؟ أو من الذين يجدون النساء اللاتي يعرضن أنفسهن منفرات؟

وهل كذب عليها حين قال إنه يحبها؟

تأوهت وقد غمر الحزن قلبها .. عند ذلك تحرك من مكانه وكأن هذا الصوت الخافت قد بدّد السحر الذي كان مستولياً عليه مانعاً إياه من الحركة، وإذا به يقفز إلى السرير بجانبها.

احتضنها بذراعيه ودفن وجهه في عنقها، لافحاً جلدها بأنفاسه الحارة.

ـ كم كنت مشتاقاً لسماع هذا منك، قوليها مرة أخرى.

ـ أحبك.

شعرت بالبهجة وهي تردد هذه الكلمة، فعادت لترددها وصوتها يهتز بالسعادة: «أحبك، يا جيثرو».

رفع نفسه على مرفقه لينظر في أعماق عينيها، وقال بصوت خشن: «أقسم لك بأنك لن تندمي أبداً. سأسعدك ولن أفارقك يوماً».

ونظر إلى جمال وجهها: «منذ رأيتك للمرة الأولى، أصبحت هاجساً في كياني، يملأ قلبي وعقلي».

وانحنى يقبلها فاستسلمت لعاطفته، بينما راحت يدها تداعب كتفيه.

هتف باسمها بصوت مرتجف وقال: «إنني عادة، رقيق وغير متهور لكنك سلبت عقلي مني».

كان يتنفس بعنف، وقد توترت عضلاته للجهد الذي كان يبذله للسيطرة على مشاعره. وابتلعت هي ريقها وقد اكتسحتها موجة من الغيرة، لا شك أن في حياته نساء كثيرات، فهو رجل قوي التأثير، والنساء يرينه جذاباً للغاية.

لكن ذلك كان في الماضي، وهذا لا يهمها... ما يهمها هو

المستقبل فقط. وهي زوجته، وهو يحبها. وتخللت شعره الكثيف الأسود بأصابعها، شاعرة بالدوار.

ولكن كان هناك شيء عليه أن يعرفه.

ـ ربما.. ربما ستتفاجأ... فأنا، لم يسبق لي أن طارحت رجلاً الغرام من قبل.

ها هي قد قالتها، لا حاجة بها للشعور بالإحراج أو بأنها سخيفة، وهي سعيدة لأنها فضّلت أن تنتظر الحب، تنتظره هو.

ـ آلي؟

كان في صوته بغتة: «هل أنت عذراء؟ يا لها من هدية تقدمينها إليّ».

أخذها بين ذراعيه برفق، فكانت ملامسته لها كالنار والحرير، وتملكها الوهن وهي تتلوّى بين ذراعيه.

وعندما أصبحت أخيراً زوجته حقاً، دخلت معه فردوس من السعادة، وعلمت أنها ارتبطت بهذا الرجل إلى الأبد، روحاً وجسداً.

* * *

١٢ ـ أرض الواقع

ـ حتى الفرودس ليس بهذا الجمال

قالت آلي ذلك، في طريق عودتهما إلى المنزل من جولة فوق الجبل.

ـ لا جدال في ذلك.

واشتدت أصابعه على يدها... قريباً يكشف لها هويته. ولكن ليس الآن، فهو يعلم أنه قلما يهمها إن تزوجت بصاحب ثروة عظيمة أو برجل فقير، لأن حبيبته الحلوة أحبته لشخصه وليس للحياة المترفة التي بإمكانه أن يقدمها لها. لذا ما من سبب لإخفاء الأمر عنها، ولكنه لا يريد أن يعكر شيء صفو فردوسهما هذا.

أمضيا عشرة أيام رائعة، اكتشفا خلالها بعضهما البعض ومن يكونان حقاً، مثل أي زوجين عاشقين.

أدناها منه وأخذها بين ذراعيه وراح يقبلها بكل ما في أعماقه من مشاعر محمومة. وعندما أبعدت وجهها عنه وهي تتشبث به، كانت عيناها الجميلتان تخبرانه بأفصح من الكلمات، بأنها تريده.

أخذت تلامس براحتيها كتفيه، مائلة برأسها، وقد غيّرت الشمس لون شعرها المشعث بينما تغلغلت أصابعه في خصلاته الحريرية.

ـ لا أظننا سنتناول العشاء. أليس كذلك؟

قالت ذلك وفي صوتها دعوة فاضحة، وقد عجزت عن كبح المشاعر التي تتملكها.

ـ الحب يدعونا. أليس كذلك يا زوجتي الحلوة؟

قال هذا وعيناه تتألقان بينما ضمها إلى صدره.

كانت أوهى من أن تجيبه، فتعلقت بعنقه وحملها إلى المنزل ولكن جرس الهاتف رن للمرة الأولى منذ حضورهما إلى هنا.

ـ الأفضل أن تجيب أنت، لعلّه صديقك.

قالت له ذلك وهو يضعها على الأرض.

ـ آه، انسي الأمر.

أجابها وفي عينيه نظرة ماكرة، ولكنها هزت رأسها نفياً فأضاف:

ـ حسناً، ما دمت مصرّة. ولكن لا تغيري رأيك.

ـ ومن قال إني سأفعل.

ووضعت إصبعها على فمه قائلة برقة: «أجب على الهاتف قبل أن ينفجر، وناديني إذا كانت أمي»

واتجهت نحو المطبخ، تغمرها سعادة لم تعهدها قبلاً.

أخرجت من البراد صندوقاً يحتوي على عصير التفاح وسكبت لنفسها كأساً، وراحت تتسكع في المطبخ تستمع إلى جيثرو على المتصلة أمها، وكانت قد طمأنتها على وصولهما بالسلامة، من دون أن يتحطم الفان القديم بهما.

عليها أن تقنع جيثرو بأن يستبدل السيارة القديمة بأخرى أفضل حالاً. ولكن من الأفضل أن تنتظر قليلاً، إذ بعد أن يستقرا في شقتها الصغيرة في لندن، يمكنهما أن يناقشا ما سيفعله بالنقود التي أعطته

إيّاها. فإن شاء أن يستمر في تنظيف النوافذ، فلا بأس، ولكن عليه أن يحتفظ بدفاتر مناسبة، ويعلن عن خدماته، ويحصل على بوليصة تأمين. ولكنها ستؤجل الحديث في هذه الأمور في الوقت الحالي.

بعد يومين تنتهي إجازتهما لذا تريد أن تستغل هذه الفترة إلى أقصى حد، ولن تبدأ بالثرثرة عن العمل وكيفية ترتيب أمورهما إذا اضطرت لترك عملها عند ولادة الطفل الذي ينتظرانه.

عندما دخل المطبخ، كانت كتفاه متوترتين. غسلت كأسها ثم قالت: «يبدو أنها ليست أمي. هل تريد كوباً من عصير التفاح؟».

هز رأسه نفياً، لكنه لم يذكر اسم المتصل، وقال: «أريد شيئاً آخر».

ومدّ يده إلى زجاجة عصير الليمون في البراد وسألها: «أتريدين عصيراً؟».

أخذت تنظر إليه وهو يفتح الزجاجة، لكن تلك النظرة المتجهمة في عينيه أقلقتها: «هل من خطب؟».

سألته ذلك وقد بدا، فجأة، شارد الذهن.

ـ أخبرني إن كان ثمة خطب.

لا بد أنها تلك المكالمة الهاتفية، لعله صاحب البيت، صديقه القديم، قد طلب منه أن يرحل لأنه يريد المنزل وهل هذا هو سبب تجهمه؟.

ـ ما من خطب إطلاقاً.

ما عدا توقيت مخابرة كلو السيء... لكنه تجاهل بحزم مخابرة أخته وقرر أن يتفرغ بكليته لآلي ولما تبقى لهما من شهر العسل. إنها ليلتهما الأخيرة في هذا الفردوس، وهو لا يريد أن يفسدها.

سرعان ما سيقتحم حياته العالم الحقيقي بمعاملاته الكبرى، وقاعات الاجتماعات، وقرقعة الفاكس واجتماعات العمل في الجزء الآخر من العالم، ومجموعة الموظفين المتزلفين، والمدراء، والمساعدون غداً يشرح لها كل شيء. أما الليلة فهي ملكهما، ملكهما وحدهما

ورماها بالابتسامة التي لطالما شلت حركتها.

ـ أعتقد، يا سيدة كول، أننا على موعد مع الحب.

وتناسى تلك الحادثة مؤقتاً.

* * *

بعد ذلك بوقت طويل، تحركت بين ذراعيه، وهو يداعب شعرها لم ينمض له جفن، لكنها هي استرسلت في نوم عميق، فالمشاعر الحميمة المتأججة بينهما كانت أروع من أن تصدق.

وأدارت رأسها ناعسة.

ـ كم الساعة الآن؟

ـ استيقظ الحمال النائم أخيراً

وأخذت أصابعه تتلمس ملامح وجهها: «إنه الفجر تقريباً»

واستقرت أصابعه على شفتيها: «سنغادر اليوم رأساً إلى لندن»

أدارت رأسها لتنظر إليه. وفي ظل الضوء الخفيف، بدت ملامحه رزينة وعيناه غامضتين

ـ حسبت أننا سنبقى هنا حتى بعد غد.

قالت ذلك باحتجاج فقد وضعت خطة ليومهما الأخير هنا نزهة إلى البحيرة المنعزلة على التلال المشجرة، سباحة في المياه المنعشة. وغداء رومانسي على ضفاف البحيرة.

ـ أخشى أن أخيب أملك، يا حبيبي.

واستند إلى الوسائد خلفه، شابكاً ذراعيه خلف رأسه «عليك أن تقابلي المحامي لإنهاء مسألة الميراث، فالوقت يمرّ، لا تنسي كما أنني مضطر لمقابلة شخص بخصوص مسألة قد تكون عاقبتها وخيمة».

ألا يمكن تأجيل هذه الأمور ليوم واحد فحسب؟ رفعت نفسها على مرفقها، وأخذت تمعن النظر في وجهه كانت عيناه مغمضتين بحزن لم يكن بخدعها، فقد سمعت نبرة الأسف في صوته لأنه لم يستطع إخفاءها، وأدركت أنه، مثلها، يأسف لانتهاء هذه القصيدة الريفية الشاعرية.

ـ ما هي تلك المسألة؟

أتراه يحاول أن ينشىء عملاً يضمن مستقبلهما؟ هل أجرى اتصالات في لندن بهذا الشأن، أم هو مجرد عذر؟

مالت إلى تصديق التعليل الأخير حين قال: «سأخبرك كل شيء حين أنتهي منها».

لكنه رأى أن بإمكانه أن يشرح لها الأمر الآن فما زال لديهما الوقت قبل أن ينهضا ويبدآ بحزم الأمتعة. ولكن من أين يبدأ؟ هل ستجد الأمر مسلياً؟ وتفهم سبب إخفائه حقيقة حياته عنها؟ أم ترى الأمر خداعاً وتفقد ثقتها به؟

لكنها أزاحت عن ذهنه مشكلة طرح الموضوع، عندما طوقت عنقه بذراعيها ووضعت رأسها على صدره، قائلة: «هذا البيت أفضل من بيتي الصغير بألف مرة. لكن يا حبيبي، قلما يهمني أين نسكن ما دمنا معاً».

كانت واثقة أن تلك المحابرة هي من صديقه، وهو يطلب منه مغادرة المنزل. خلال الأيام القليلة التي أمضتها معه، لاحظت شعوره الطبيعي بالسلطة فأدركت أنه يشعر بالضيق في داخله لاضطراره إلى حرمانها من آخر يوم في شهر عسلهما، ولكنه لم يكن في وضع يسمح له بالاعتراض

لا بد أن حبيبها المسكين يشعر الآن بالإحباط، وهي لا تستطيع احتمال ذلك. ولكنه يوماً ما سيفحر طاقاته الكامنة كلها دنت منه لتقبله فأسندها بين ذراعيه وأطلق العنان لمشاعره الجياشة.

* * *

ـ هكذا إذن؟

وحمل جيثرو حقيبتها وتوجه إلى سيارة «الڤان»... لقد داهمهما الوقت فقد تركها نائمة ريثما ينجز بعض الاتصالات الهاتفية، ثم يغلق نوافذ المنزل ويعدّ قهوة وخبزاً محمصاً للفطور. لكنها أصرت على رفع ملاءات السرير قبل الرحيل وتنظيف المطبخ، قائلة: «لا يمكننا ترك الفوضى تعم المكان، وماذا سنفعل بشأن الطعام؟».

بدا عليه عدم الاكتراث فخشي أن تظنه ناكراً للجميل

عندما تركا «الڤان» في موقف السيارات، قالت له قلقة: «هل يمكنك تركها هنا؟ ألن يفطرها أحد بسيارته؟».

ـ هذا يحصف عني مشقة نقلها إلى ساحة الخردة.

ثم طلب منها أن تحثّ الخطى إلى مكتب التذاكر قبل أن يفوتهما القطار.

هذا أيضاً سيجعلها تظنه عديم المسؤولية أيضاً، لكنه سبق أن اتصل بهاري ليخبره أين بإمكانه أن يجد «الڤان» ليحضرها ويبيعها بأي

ثمن يحصل عليه.

اشترى تذكرتين للدرجة الأولى بواسطة بطاقته المصرفية وعندما دخلا القطار قبل ثوانٍ من انطلاقه، قالت: «لا يمكننا الجلوس هنا، في الدرجة الأولى».

كم بدت جميلة بارتباكها وتورد وجهها خجلاً... كانت ترتدي بنطلوناً ضيقاً أبيض يعلوه قميص ليموني اللون من دون كمين. وابتسم لها ببطء: «لا تقلقي، اشتريت تذكرتين للدرجة الأولى».

ـ أتعرف ثمنها؟

عظيم.. عظيم جداً! ستظن الآن أنها تزوجت رجلاً مسرفاً.. وجلست هادئة في مقعدها بينما أطلق هو تنهيده... الليلة بالذات، سيكشف لها الحقيقة!

جلس بجانبها وأمسك بيدها، وراح يعبث بخاتم الزواج الرخيص في إصبعها. غداً يستبدله بآخر أكثر قيمة. قال بلطف: «وبما أن هذه الليلة هي الأخيرة في شهر عسلنا الرسمي، سأدعوك لتناول العشاء في مطعم وأدللك للغاية».

كان يعرف فندقاً فخماً قرب «ويندسور»، يقدم طعاماً ممتازاً وفيه غرفة الطعام مضاءة بالشموع وجناح خاص بالعرائس.

اتصل هذا الصباح لحجز هذا الجناح ومائدة لشخصين، واتفق مع مساعده «جايمس أبوت» ليأخذهما بسيارته إلى هناك هذا المساء، ثم يأتي ليقلّهما غداً ظهراً... إنه مكان مثالي لشرح المسألة لها.

ـ لا أريد أن تدللني. ولكن لا بأس بالعشاء.

وضغطت بدورها على يده ثم أخذت تنظر من النافذة مفكرة.

إن كان يريد أن يبدد نقوده، فستفعل ما طلبه منها. فالمال ماله في كل حال، ولكن عليهما أن يتحدثا صراحة عن ضرورة التوفير في المستقبل

لقد علا الاحمرار خديها وهي تفكر بتلك اللحظات الحميمة التي أمضياها معاً، فخطر لها أن تكون الآن حاملاً.

ولكن فكرة إنجاب طفل منه جعلتها تشهق قليلاً. فقال جيثرو برقة «بماذا تفكرين؟»

التفتت إليه، وهي تريح رأسها على مسند الكرسي، وقد أحاط شعرها المسترسل كتفيها.

ـ أفكر في مدى حبي لك.

وكان هذا، من الصحة، بحيث اعتصر الألم قلبها بشدة. كان يبدو وقوراً، رغم اختياره ارتداء البذلة الرخيصة التي ارتداها يوم رافقهما، فوق قميص يماثلها رخصاً، وربطة عنق لا بد أنه استعارها من جدّه هاري أو من متشرد تكرّم عليه بها!

كان حبيبها الغالي يبذل جهده ليبدو أنيقاً لأجلها، لكن قلما تكترث لما يرتديه، لأنها ما كانت لتصدق قط أنها قد تحب رجلاً إلى هذا الحد.

* * *

رافقته إلى شقتها الصغيرة لتعرفه عليها، وعندما حمل حقيبتيهما إلى غرفة النوم، قالت له: «آسفة لهذا السرير المنفرد. علينا أن نتدبر أمرنا إلى أن أستبدله بآخر مزدوج».

ونظرت إليه بأسف: «لم أحاول قط أن أجعله مريحاً، وعلينا أن نستعمل وسادة واحدة، ونرى كيف يمكننا أن نجعله بهيجاً».

فقال بغير اهتمام:

ـ لا عليك، ولا تزعجي نفسك بإفراغ حقيبتي، سأقوم بذلك فيما بعد.

ونظر إلى ساعته، ثم طبع قبلة رقيقة على طرف أنفها وأضاف:

ـ عليّ أن أخرج الآن، وسآتي لاصطحابك عند السابعة، ارتدي ثوباً جميلاً

فسألته بسرعة: «آتي معك إلى اجتماع العمل ذاك؟»

لم تكن تريده أن يقفز إلى عمل مشكوك فيه ليؤمن مستقبلهما

ـ كلا

هز رأسه بحزم وكأنه يشعر بأنها ستضيّع وقته: «حددي موعداً مع محامي عمك الراحل وعليك إن كانت أمك تريد الانتقال إلى «ستدلي»، أن تحصلي على رخصة بالمفتاح لكي نرى ما إذا كان صالحاً للسكن».

أخذت تنظر إليه وهو يغادر الشقة. هل سيدوم اجتماع العمل حتى المساء؟ لقد جاء بها إلى هنا، ثم اندفع خارجاً، من دون أن يكترث بهذه الشقة التي ستصبح عشهما الزوجي، إلى أن يتمكنا من الانتقال إلى مكان أوسع.

جل ما كان يثير اهتمامه هو الخروج من البيت، والتأكد من مطالبتها بإرثها. ألأنه يعلم مدى لهفة أمها للعودة إلى هناك، أم لأنه عقار ثمين للغاية؟

لكنها طردت هذه الفكرة من رأسها بحزم. لن تشك فيه، أبداً.

إذا كان بيته الجديد لا يعجبه، فهي لا تلومه، إذ ليس فيه ما

يستحق المديح كما أنه مشغول باجتماع العمل ذاك. ألم يقل لها إنه سيخبرها كل شيء عنه عندما ينتهي منه؟ إنه ليس غبياً، ولن يغامر إن لم يكن متأكداً من النجاح.

وهي تثق به تماماً.

* * *

١٣ ـ سكين في القلب

اتصلت آلي بالمحامي وحددت معه موعداً بعد يومين، وبدلاً من الاتصال بأمها التي كانت في تلك الساعة في عملها، قررت أن تتصل بوكيلة أعمالها، إذ عليها العودة إلى جني المال، لكنها سترفض السفر إلى ما وراء البحار، لأنها تأبى الابتعاد عن جيثرو إلا للضرورة القصوى.

هتفت «كريستا فيشر» قائلة: «يا عزيزتي، أرسلتك السماء إليّ لتخرجيني من المأزق الذي وقعت فيه. أنا واثقة من ذلك».

فضحكت آلي، وهي المعتادة على العواطف الزائفة من وكيلة أعمالها. ولكن تلك المشاعر الجياشة تخفي خلفها عقلاً عملياً حاداً، وقالت آلي: «هل لديك شيء لي؟ ولكنني لا أريد السفر. انتهت أيام الرحلات الطويلة، فأنا امرأة متزوجة الآن».

ولأنها توقعت صرخة من كريستا، أبعدت سماعة الهاتف عن أذنها. وعندما أعادتها، كانت المرأة تقول: «عدة عروض. لقد سأل عنك أصحاب مركز «بيور ماجيك» لمساحيق التجميل. فأخبرتهم بأنك في إجازة. لكنهم ما زالوا يبحثون عن بديلة لك. سأتصل بهم في الحال. والآن، لنعد إلى موضوعنا، يا عزيزتي. لقد خذلتني «ماريتا» إذ كان من المفترض أن تكون نجمة عرض الأزياء

الخيري والمهرجان اللذين سيقامان هذه الليلة، لكنها اتصلت بي هذا الصباح لتعتذر عن ذلك إذ سقطت الغبية وتأذت.. هل تصدقين؟ ماذا كانت تحسب نفسها فاعلة وهي تتسكع في أراضي سكوتلندا المعشوشبة مع أحد الأثرياء يصطادان الدجاج البري؟ لا أستطيع أن أتصور ذلك! اتصلت بـ «ساشادبل» بصفتها بديلة لها، ولكنني أفضلك عليها. والآن ما رأيك لو نتناول الغداء معاً ونناقش هذا الأمر؟».

ـ أنا لست..

فقاطعتها: «سأراك بعد ساعة.. في مطعم «دوسر» في كوفنت غاردن عليّ أن أقفل الآن».

وضعت آلي سماعة الهاتف ثم دوّنت اسم المكان تحت رقم كريستا. وكعادتها، لم تدعها وكيلة أعمالها تتلفظ بكلمة. لكن الغداء سيساعد على مرور الوقت.. يمكنها أن تعرف نوع العمل المعروض عليها ثم تشرح لكريستا بأنها لا تستطيع الاشتراك في مهرجان الليلة. لأنها ستتناول العشاء مع زوجها ولا يمكن أن تلغي ذلك الموعد!

أمضت ساعة من الوقت لتعقد شعرها إلى الخلف وتتبرّج وترتدي بنطلوناً أزرق ضيقاً وسترة تناسبه. وكانت هذه إحدى البذات المحتشمة التي ترتديها حين لا تريد أن تبدو أنيقة.

طلب جيثرو منها أن ترتدي ثوباً خاصاً لهذه الليلة، ولا شك أن الثوب الأسود الذي تحتفظ به للمهرجانات سيفقده صوابه، فهو ضيق ويبرز مفاتن جسمها بشكل فاضح. عليها أن تثبت له أنها قادرة على الاعتناء بمظهرها حين تريد ذلك!

وصلت متأخرة خمس دقائق إلى مطعم «دوسر» وتوجهت فوراً إلى مائدة كريستا.

- آسفة للتأخير، لكن السير مزدحم للغاية.

قالت آلي ذلك وهي تجلس على كرسيها، فأجابت كريستا: «لا داعي للقلق. أرجو أن يكون لديهم أطباق جيدة لنتناولها».

وأشارت كريستا إلى النادل ثم سألت آلي: «ماذا تريدين؟».

- مياهاً معدنية مع الليمون.

وتناولت آلي قائمة الطعام واختارت منها سلطة ثمار البحر.

- ولكني أجد هذا المكان الأنسب لاكتشاف المواهب. إذ يبدو أن جميعهم من الشباب! انظري إلى تلك الفتاة عند المائدة قرب النافذة.. إنها تتغدى مع حبيبها، إنه رجل رائع! استُدعي إلى الهاتف قبل لحظات من قدومك، هل يمكنك رؤيتها؟ تلك التي ترتدي الثوب الأحمر المتألق؟

أسندت ذقنها على يديها وقد ضاقت عيناها العسليتان وهي تتابع: «إن صففت شعرها بشكل جميل، ووضعت ماكياجاً كاملاً على وجهها، غدت جيدة للتصوير. ما رأيك؟».

أزاحت آلي كرسيها لتتمكن من النظر إلى الخلف، ولكنها لم تستطع أن ترى من الفتاة سوى رأسها وكتفيها.

إنها كلو أبوت. فقد تذكرت بوضوح ذلك الوجه الجميل في الصورة ذات الإطار الفضي. الشعر الأسود الفوضوي، الذقن العنيدة، والثغر الشبيه بورقة شجر... إن لم تكن تلك الفتاة هي كلو فلا بد أنها شبيهة لها. ستخبر جيثرو عنها عند المساء. وأخذت تتساءل عمّن يكون حبيبها.

- وجهها مميز جداً.

وافقتها الرأي، باسمة، ثم عادت تلتفت إلى كريستا التي كانت تطلب سلطة ثمار البحر، فأظهرت لها استعدادها للعودة إلى الحديث عن العمل، وراحت تشرح لها بأنها مشغولة هذا المساء «حسناً..» لكن كريستا قاطعتها مستفهمة: «والآن، أخبريني عن زوجك هذا. ظننت أنك لا تهتمين بالزواج، لا بد أنه شخص مميز ليجعلك تغيرين رأيك. متى حدث ذلك؟ يا إلهي، أهذا هو خاتم زواجك؟».

التهبت عينا آلي غضباً. قلما يهمها أن تضع خاتماً يبهر الأنظار.

ولحسن الحظ، سكتت كريستا فجأة لتمسك بمعصم آلي بيد كمخلب النسر قائلة: «لقد عاد. أليس الحب جميلاً؟ انظري. أعتقد أنه يكتب شيكاً، أتراه يقدم لها ثمن خدماتها؟ لا يبدو لي مضطراً لأن يدفع لقاء ذلك».

كان كلام كريستا فاحشاً، فقالت آلي تنبهها وهي تضحك:

- أخفضي صوتك.

ثم أمالت كرسيها لترى الرجل الذي فتن كريستا، وماتت الابتسامة على ثغرها.

كان جيثرو يرتدي بذلة رمادية، بالغة الأناقة، مختلفة كلياً عن تلك التي ارتداها يوم زفافهما، وكان قميصه فاتح اللون، وربطة عنقه رمادية هادئة اللون مخططة بالأزرق. وقد بدا أنه قص شعره الأسود الكثيف حديثاً، وهالة السلطة والثقة البالغة بالنفس تحيط به بجلاء.

لم تكن تمانع أن ينفق مدخراتها على صفقات عمل، أو أن يدخل بها دنيا الأعمال، لكنها تأبى أن يعطي فلساً واحداً من ذلك المال لهذه الفتاة أياً كانت صفتها.

رأته يعيد الغطاء على قلمه، ويضع دفتر شيكاته في جيبه الداخلي، ثم يرمي الشيك على المائدة ويرفع بعد ذلك أصابعه ليلامس وجه كلو الجميل بمحبة فائقة.

تسمرت آلي مكانها من تأثير الصدمة، عاجزة عن رفع نظراتها عنهما. بدت لها الصورة وكأنها تمر بحركة بطيئة. وعندما رأت الفتاة ذات الثوب الأحمر تمدّ يدها لتمسك بتلك اليد التي كانت تلامسها بلطف، وتشدّ عليها بيدها، شعرت بالغثيان.

لقد كذب جيثرو عليها. إنه مغرم حتماً بشقيقة صديقه الثري. وهي الآن ترى البرهان بعينيها المتسعتين ذهولاً، وهذا يعني أن..

لم تحتمل متابعة التفكير في ذلك، ليس الآن، وليس هنا. ستفكر في الأمر فيما بعد، عندما تهدأ أعصابها. وأدارت ظهرها لهما بينما كان النادل يضع طبق الطعام أمامها.

اللحم... شرائح السلمون المدخّن.. صلصة.. وأجفلت، شاعرة بألم مفاجيء في معدتها. ستتقيأ، أدركت أن ذلك سوف..

ـ هل أنت بخير، يا حبيبتي؟

تناهى صوت كريستا القلق إلى مسمعها منقطعاً وكأنه قادم من مكان بعيد يغمره الضباب.

يجب ألا تلفت الأنظار إليها، فإن بقيت مسمرة مكانها وهي تدير ظهرها إلى القسم الرئيسي من القاعة، فلن يلاحظ جيثرو وجودها. وفي مطلق الأحوال لا تخاله يحول انتباهه عن الفتاة ذات الثوب الأحمر.

قبضت طعنة عذاب أخرى على معدتها بقوة. فقالت بألم وعلى فمها ابتسامة مغتصبة: «أنا بخير، عليّ أن أذهب إلى الحمام، المعذرة».

واندفعت نحو حمام السيدات... على الرغم من ارتباكها، لملمت بقايا كرامتها. يجب ألا يراها جيثرو، في هذه الحالة المريعة... عليها أن تسيطر على نفسها تماماً عندما تسأله أن يفسر موقفه.

لحسن الحظ، لم تتقيأ.. أقفلت على نفسها باب المرحاض حيث أسندت جبينها على الجدار البارد.

لقد كذب جيثرو عليها. كل ما بدا لها رائعاً في زواجهما ليس سوى كذب يدعو إلى السخرية.

منذ أخبرها عن كلو أبوت شقيقة صديقه الغني، حدثتها غريزتها الأنثوية بأنه مغرم بتلك الفتاة، وخطر لها أنه تزوجها هي، ليضع يده على مبلغ كافٍ من المال ويثبت لصديقه أنه ليس ذلك المفلس الذي لا رجاء منه، وبعد الطلاق سيعود حراً لكي يتزوج كلو.

هذا لا يعني أنهما سيحتاجان إلى موافقة أخيها، طبعاً. لكنه لا يريد أن ينفّر منه رجلاً يملك كل تلك الأموال.

وتذكرت ميراثها، وشعرت وكأن ماءً مثلجاً يُسكب على رأسها. هل حاول أن يحذرها مما يمكن أن يحصل عندما اتهمها بالمبالغة في ثقتها، وعدم إصرارها على طلب اتفاقية قبل الزواج، إذ يمكنه أن يأخذ منها كل ما يستطيع الحصول عليه، فيطالبها بنصف ما تملكه عندما يتطلقان؟ وبالرغم مما قاله، فإن الزواج سينتهي في الوقت الذي يناسبه.

تأوهت بألم بينما قلبها يحدثها بأن هذا لا يمكن أن يكون صحيحاً. كيف أمكنه أن يظهر لها تلك المشاعر العنيفة، والرقة، بينما هو مُغرم بامرأة أخرى؟

لكنها رأتهما معاً بأم عينها، وتعرفت على المرأة التي برفقته، كما أنه رجل.. رجل شبق للغاية، ولا بد أنه شعر بتجاوبها معه فاستغل ذلك. ولماذا لا يستغلها أثناء انتظاره انتهاء معاملات قصر ستدلي ليصبح ملكها؟

عليها أن تسيطر على نفسها، قبل أن تتحطم تماماً، وتكفّ عن تعذيب نفسها بأسئلة تعجز عن الإجابة عنها. وقررت أن تتفاهم معه على كل شيء الليلة. فمن المفروض أن يصطحبها إلى العشاء، إن استطاع أن يسلخ نفسه عن كلو أبوت. وتساءلت، بشيء من السخرية، عما إذا كان سيرتدي بذلته التي تدعو إلى السخرية تلك، أم هذه البذلة الأنيقة الرمادية اللون.

ساعدتها السخرية على تمالك نفسها، والخروج من الحمّام، وإذا بها تجد نفسها أمام كلو التي كانت تغسل يديها.

غسلت يدورها يديها، ثم نظرت إلى الفتاة الأخرى وهي تسير نحو المرآة، ثم قالت لها بلهجة عفوية: «هل تقابلنا من قبل؟ اسمك كلو أبوت، أليس كذلك؟».

رمتها كلو بابتسامة جميلة، ثم عادت تنظر إلى المرآة وهي ترفع يدها لتدفع شعرها الأسود عن وجهها. ولمع خاتم زوج عريض في إصبعها.

إنها متزوجة! ولم تصدق ما رأته عيناها... هل يسرق جيثرو زوجة رجل آخر؟ عندما تحدث بعطف عن أخت صديقه الغني، لم يذكر أنها متزوجة... هل المشهد الذي رأته في المطعم له معنىً آخر؟ أتراها كانت تظن أشياء فظيعة عنه من دون سبب؟ وأخذ رأسها يدور.

وقالت الفتاة بابتسامة أخرى: «لا.. وإلا لتذكرت ذلك، ثم إنني أدعى «كلو كول» وليس «كلو أبوت» فشهرتي ليست جميلة اللفظ ولكنها ملتصقة بي».

استجمعت آلي كل ما تملكه من ثبات وتوازن للخروج من الغرفة.

عدا عن الأمور المرعبة الأخرى كلها، تزوجت من رجل متعدد الزوجات، ليس هناك أي تفسير آخر.

قطبت كلو جبينها وهي تنظر إلى تلك الشقراء الطويلة الفاتنة تندفع خارجة من الغرفة بشكل مفاجيء. ثم هزت كتفيها بخفة، وعدّلت خاتم الخطوبة الماسي في إصبعها.

عادت آلي إلى مائدتها، وجلست على كرسيها: «ما الذي أخّرك إلى هذا الحد؟».

سألتها كريستا هذا فأجابت بلطف وهي تتناول طعامها: «لا تلقي عليّ أسئلة محرجة، يا عزيزتي. في أي وقت تريدينني هذا المساء، وأين؟».

كانت تشعر الآن ببرودة الثلج. إنها قوية ولن تسمح لرجل بأن يجعلها ضائعة منهارة، أو يملأها بالمرارة التي ستدمّر حياتها في النهاية.

فهي لها حياتها، ومستقبلها، ونفسها لتعتمد عليها. وليست بحاجة إلى أكثر من ذلك.

خالتها فران محقة، وكل ما حدثتها به غريزتها كان صواباً، فليس من رجل جدير بالثقة. وكلهم، في النهاية، مخادعون.

* * *

١٤ ـ لن أتوقف عن حبك أبداً

كما جرت العادة في العروض التي تنظمها تلك التي لا تعرف التعب «مادلين فلويد بالمر»، سار كل شيء على ما يرام.

ومع أن الفوضى سادت الفوضى في كواليس المسرح إذ أصيب أحد المصممين بثورة غضب مفاجئة، وهدد المنسّق الرئيسي بالمغادرة، إلا أن الجمهور لم يعلم بالأمر وقُدّم الطعام والشراب على الموائد المحيطة بقاعة الرقص كما سار عرض الأزياء على أحسن ما يرام.

ـ يمكنك أن تذهبي الآن.

فكّت الخيّاطة آخر زر من الأزرار الصغيرة المغطاة بالحرير التي تزيّن ظهر ثوب الزفاف الأسطوري الجمال، فأنزلته آلي عن جسمها وخطت من فوقه وهي تتنفس بارتياح.

كان عرضها لهذا الزي الرائع، وابتسامتها وهي تسير ببطء تحت الأضواء الناعمة، قد أحدث أول شرخ في الدرع الذي أحاطت نفسها به ضد مشاعر الحزن والألم، فالموسيقى الشاعرية الحالمة جعلت الدموع تلمع في عينيها، وحملتها على التفكير بجيثرو، فما الذي قد حصل يا ترى؟ ولكن لا جدوى من قلقها هذا كما أخذت تحدث نفسها الآن، متجاهلة ثرثرة العارضات المشغولات بارتداء ملابسهن

ووضع اللمسات الأخيرة على شعورهن وتبرجهن.

كان من المفترض أن تختلط العارضات والمصممون على حد سواء بالمدعوين المرتدين ملابس السهرة، المتحلين بالمجوهرات في قاعة الرقص، في هذا الفندق الفخم. فعند انتهاء العشاء، تفتح حلبة الرقص، فيختلطون بنجوم المجتمع الذين دفعوا مبالغ طائلة للحضور، ليس، فقط، لمساندة هذا العرض الخيري، ولكن ليظهروا فعلهم هذا للناس.

خطر لها أنها تستخيل شخصية ساخرة لاذعة. ولكن، أليس لديها كل الحق في ذلك؟

بعد أن فرغت غرفة الملابس من الناس، أخرجت ثوبها الأسود المثير من الكيس ولبسته، فأظهر مفاتن جسمها الرائع.

ستقوم بواجبها، وتختلط بالآخرين وتبتسم... فهي ذاهبة إلى حفلة قبل أن تغادر المنزل، تركت ملاحظة لجيثرو، بجانب الهاتف، تقول فيها: (لدي عمل الليلة، فلا تنتظرني) ولم تضف كلمة (آسفة).

فهي تريد أن تؤخر المواجهة بينهما قدر المستطاع، حتى تتأكد من أنها ستعالج الأمر معه بكرامة وبرودة تامتين. لا يمكنها الانهيار، أو إظهار ما أحدث فيها خداعه لها. لقد تحطم حبها، وضاعت ثقتها به، ولكن عليها أن تحتفظ بكرامتها.

وضعت الثوب الذي جاءت به في الكيس ولبست حذاءً أسود كعبه عالٍ، ثم وقفت أمام المرآة تنظر إلى نفسها. رغم «الماكياج» المتقن، كان وجهها شاحباً، وعيناها حزينتين.

وفجأة، خطر لها فكرة ألا تذهب إلى الحفلة.. لا يمكنها أن تفعل هذا. فرفعت حمالات ثوبها فوق كتفيها، وحملت حقيبة يدها،

ثم اتجهت إلى الردهة.

لا فائدة من تأخير ما لا يمكن تجنبه. فالثغرة البسيطة التي نتجت عن عرضها ثوب الزفاف ذاك، قد سُوّيت بنجاح. واستعادت سيطرتها على نفسها... وإن انتظرت فلن تكون مواجهتها مع جيثرو أسهل. طلب لها البواب سيارة أجرة وأعطت سائقها عنوان شقتها، ولكن عندما مرت بها السيارة على الرصيف المحاذي للنهر أمرت السائق قائلة بتوتر: «لقد غيّرت رأيي. أنزلني هنا».

فسألها السائق باهتمام: «هل أنت واثقة؟».

لم تكن واثقة تماماً من ذلك، إذ كانت يدها ترتجف وهي تناوله أجره. أومأت برأسها وقد منعتها غصة في حلقها من أن تتكلم. ورأته يهز كتفيه ثم يبتعد.

تملكها التوتر من جديد. كيف يمكنها أن تواجه جيثرو، وتخبره بما عرفته عنه، وبما رأته. لقد رأت خاتم الزفاف في إصبع كلو أبوت التي أصبحت الآن، وباعترافها، كلو كول.

استجمعت شتات نفسها قبل أن تواجهه. إنّ ثوب الزفاف، ذاك، أخرجها عن هدوئها، بعد أن ظنت أنها أمسكت بزمام الأمور وتخلصت من توتر أعصابها.

اغرورقت عيناها بالدموع فغامت الرؤية أمامها. وكانت الشمس التي أوشكت على المغيب قد توارت خلف سحابة بيضاء فبدا النهر قاتماً كالزيت، وقد ألقت الأضواء انعكاسات راقصة فوق المياه.

لماذا لا تستطيع التوقف عن حبه؟ لماذا لا يتبدد ألمها؟ فهو لا يستحق مشاعرها هذه.

هب نسيم بارد اقشعر له بدنها فارتجفت وهي تسمع خطوات

ثابتة خلفها مباشرة، وشعرت بلفحة مفاجئة من الهواء وشمت رائحة عطر غالي الثمن، وإذا بذراعين قويتين تحيطان بها وهو يديرها نحو جسده القوي الدافىء

جيثرو ووهنت ساقاها. كيف يمكنها التعلق به بمثل هذا الضعف بينما هي تعلم مدى القسوة التي استغلها بها؟ كيف جعلها تحبه وتثق به بينما الخيانة والخداع في نواياه؟

وضعت راحتيها على كتفيه وتحسست قماش سترته الناعم الغالي الثمن، وأخذت عيناها الذاهلتان تقيّمان سترة العشاء البيضاء وربطة العنق السوداء، وكان ضوء النهار المتواري يلقي على وجهه ظلاً جعله يبدو جذاباً للغاية.

دفعته عنها بضعف وقد اختنقت أنفاسها في صدرها، لكنه أمسك ذقنها بيده، وأرغمها على النظر إليه، وشتم بصوت خافت وقد رأى الدموع تنهمر على وجنتيها

ـ اصعدي في السيارة

أمرها بذلك بحزم وهو يحمل حاجياتها المبعثرة بيد، ويحيط خصرها بيده الأخرى. وخطر لها أن تضرب الأرض بقدمها، وتخبره بأنها لن ترافقه إلى أي مكان أبداً بعد الآن. ولكن أخذ بعض المارة يتسكعون حولهما وينظرون بفضول، والله وحده يعلم ما قد يحدث إن هي أثارت بلبلة.

خيل إليها أنه قد يقع شجار، وتأتي الشرطة، ورجال الصحافة، وتوهجت أمام عينيها التفاصيل المثيرة لزواجها في أعمدة الصحف الشعبية الباحثة عن الفضائح. ارتجفت وهي تذعن له، سامحة له بأن يدفعها نحو السيارة المنتظرة.

فتح جيثرو باب السيارة الفخمة الخلفي، وصعد إلى المقعد الوثير بجانبها وهو يأمر السائق قائلاً «إلى «بلو بور» يا جايمس، بسرعة لو سمحت»

ما الذي يحدث؟ وما الذي يفعله؟ وتملك آلي الذعر، وحاولت أن تخرج من السيارة قبل أن تظهر سيارة الشرطة خلفهما، ويلمع الضوء الأخضر، وتزعق صفارة الإنذار. لكن يدي جيثرو ضغطتا على خصرها النحيل مثبتاً إياها على مقعدها.

- اهدئي، ياحبيبتي. أعرف بما تفكرين، وأنا أتحمل وحدي مسؤولية هذه الفوضى.

حافظ على هدوئه طوال الوقت، إلى أن أوصل أخته إلى المصرف لتضع الشيك في حسابها، بعد أن اجتمع للمرة الثانية بخطيبها الجديد، وبمحاميه الخاص ليدرس تفاصيل مشاركة الخطيبين له، في الشركة، فقالت له كلو من دون مناسبة: «لقد تذكرت الآن. كان وجهها مألوفاً، فإما أنها عارضة أزياء أو ممثلة. قالت لي إننا تقابلنا من قبل، لكنها ظنت أن اسمي «أبوت» نعم، أظنها قالت أبوت».

وعندما انتزع منها تفاصيل ذلك اللقاء المصيري في حمام النساء، أدرك ما فكرت به آلي ومنذ ذلك الحين وهو يشتم نفسه في كل لحظة

ازدادت سرعة السيارة، وشعر بعدائها في اللهجة التي سألته بها:

- من أين حصلت على سيارة الرولز هذه؟ إياك أن تقول إنك خرجت واشتريتها وهذه البذلة الثمينة من السوق، من المال الذي دفعته لك، فأنا لست بذلك الغباء.

والتفتت تنظر إليه وقد شحب وجهها وتوترت شفتاها بمرارة:

- وإلى أي جهنم تأخذني الآن؟

- إلى العشاء، هل نسيت موعدنا؟ وأنا أعرف أنك لست غبية، فأنت حبيبتي المعبودة.

وأمسك بيدها مشبكاً أصابعه بأصابعها. كادت تصدقه، تصدق ذلك الإخلاص العميق العذب في صوته، إلى أن تذكرت أنه انتهازي، ويحاول استغلالها من كافة النواحي.

سحبت يدها من يده وشبكت ذراعيها فوق صدرها، فقال لها بصوت رقيق خافت، وبنبرة هازلة: «لم أسرق الرولز، إذا كان هذا ما تخشينه. إنني أحتفظ بها لتنقّلات رجال الأعمال الأجانب حين يزورون لندن إذ يبدو أنها تؤثر فيهم، وجايمس أبوت، السائق، هو كبير المساعدين الشخصيين لي، ويمكن الاعتماد كلياً على فطنته وحذره. ولكن، من الأفضل أن نرجىء حديثنا إلى أن نصل إلى مقصدنا»

نسيت، للحظة، أنهما ليسا بمفردهما، وقد تكون أذنا السائق مرهفتين. ولكن ماذا قال اسمه؟ جايمس أبوت؟ ليس بيل ولا بوب. أتراه ينسى دوماً أسماء الأشخاص؟ أترى السائق هو صديقه الثري؟

آه، إنها لا تعرف ما يجري! وسألته بصوت هادىء: «كيف علمت أين تجدني؟ فأنا لم أترك بياناً تفصيلياً بخط رحلتي».

- بلى. قرأت الورقة التي تركتها لي، ووجدت رقم وكيلة أعمالك، فاتصلت بها وأخبرتني أين أجدك هذا المساء. انتظرت في الخارج، ولحقت بسيارتك عند مغادرتك المكان. الأمر بسيط كما ترين

بسيط! كل شيء معقد مع جيثرو كول

توقفت عن تحليل الأمور، وتسمّرت في زاوية مقعدها تحدث نفسها بأنها، حالما يصلان إلى مقصدهما، ستسأل السائق أن يشرح لها ما يحدث، لأنها لن تثق بكلمة مما يقول جيثرو!

لكن خطتها هذه لم تنجح، وكيف يمكن ذلك.

وحالما وطئت قدماها الأرض المبلطة بالحصى، وجدت جيثرو يقف في الجانب الآخر للسيارة المنرفة، ويدق على سطحها، فإذا بالرولز تنساب منتعدة عائدة إلى الطريق المحفوف بالأشجار.

أظهر نور خفيف اسم الفندق القائم فوق رواق ذي أعمدة، وشعت الأضواء على السيارات الفخمة التي كان سائقوها ينتظرون داخلها بثيابهم الرسمية.

لم يصطحبها إلى بقعة منعزلة بل إلى مكان عام، وما من سبب يدعوها للخوف، وهي تعلم جيداً أنها لا يمكن أن تخاف منه أبداً، لأنه عاجز عن إيذائها جسدياً قد يؤذي قلبها، ويحطمه بسهولة، وعليها هي ألا تسمح له بذلك

- والآن؟

سألته ذلك متعبة، بينما كان يحمل أغراضها وكيساً جلدياً يحتوي على ما يحتاجه لقضاء الليل كان نهاراً شاقاً يوتر الأعصاب، إذ خلال اثنتي عشرة ساعة، تحولت من عروس تعمرها نشوة السعادة، إلى روحة محدوعة مليئة بالمرارة.

- ستتعشى معاً. هل سبت موعدنا؟ سمكة الليلة هنا في جناح العرائس وغداً يأتي حابس ليقلنا إلى السد فنحن نملك بيتاً في حي «مايفير». وأنا واثق من أنه سيعجبك

كان يتكلم برقة وقلبه يتلوى في داخله لأنها بدت له بكل هذا الضعف والهشاشة تلهف إلى أن يأخذها بين ذراعيه، ويشعر بدفئها قربه. ويمحو ألمها لكن عليه أن يسير معها بحذر، فهو يعلم أنه يقف الآن فوق رمال متحركة نتيجة عناده وأنانيته.

تحاملت كل ما قاله لها، وركزت ذهنها على كلمتين فقط أثارتا رعبها بحيث لم تستوعب أي شيء آخر جناح العرائس

لا يمكنها أن تمضي الليل معه كانت تخشى أن تخونها مشاعرها. وتعجز عن كبح رغباتها

اقترب منها ووضع يده على ظهرها يدفعها برقة لصعود الدرجات الثلاث، المؤدية إلى المدخل عليها أن تستجمع قواها لتقاومه، وتقمع ذلك الصوت الذي يتردد في نفسها، ويسألها إن كان يسعها أن تمضي معه ليلة أخيرة، وترتوي من تلك المشاعر التي وحده يمكنه أن يوفرها لها

ضربت قدمها بالأرض وقالت بقوة وعناد: «ابق هنا، إن شئت، ولكن اطلب لي سيارة أجرة. إذا كنت تريد عشاءً شاعرياً، وليلة حب حمراء فاستدعِ زوجتك الشرعية! أم تراها اكتفت بالغداء معك؟»

شد يده على خصرها كان قادراً على حملها وإدخالها إلى الفندق ولكنه قال برقة فائقة «لقد وجدت حبنا أكثر شاعرية، يا حبيبتي. فهو من الذهب الصافي، كما أنك زوجتي الوحيدة ولا أريد سواك، إنها أختي التي شاركتني الغداء هل ندخل؟ أم تفضلين أن نتحدث هنا؟ لكنني أحذرك، فالمسألة معقدة وقد يأخذ حلّها ساعة أو ساعتين»

بدأ رأسها يدور، فسمحت له بأن يقودها إلى ردهة الفندق الأنيقة من دون أن تعي حتى ذلك. أرادت أن تصدقه، ولكن كيف تستطيع ذلك؟

لم يذكر، من قبل، أن له أختاً لأنه لم يتحدث قط عن نفسه. إنها لا تعرف عنه الآن أكثر مما كانت تعرف حين عرضت عليه الزواج

وكانت واثقة من أنه تناول غداءه مع كلو أبوت، سابقاً، والتي أصبح اسمها الزوجي كلو كول. ألم تر بعينيها خاتم الزواج الذهبي المتألق في إصبعها؟

إنه مخادع محتال، وساحر ناعم. أخذ أحد الموظفين حاجياتهما وهو فتى في ريعان الشباب مزهو ببذلته الرسمية الأنيقة. وقفت هي وجيثرو على السلم الكهربائي واتجها إلى «جناح العرائس» المخيف.

قبلت مرافقته لأنها أرادت أن تعرف الحقيقة، وتخبره بأنها ليست تلك الغبية التي تغض الطرف عن أكاذيبه شرط أن يحملها بين ذراعيه ويأخذها إلى عالم الحب!

لم يكن لذلك علاقة برغبته في أن تصدق كلامه حين قال إنها زوجته الوحيدة التي لا يريد سواها.

كان الجناح أسطورياً، وبالرغم من اضطرابها استطاعت أن تلاحظ غرفة الجلوس، والحمام، وغرفة النوم العصرية الطراز التي تسبح في ضوء خفيف، وتغطي أرضها سجادات سميكة. كان «الديكور» مزيجاً بارعاً من اللونين الوردي الهادىء والأخضر القاتم والتبني. وكانت تعطر الجو ورود يانعة يفوح شذاها في أنحاء الغرفة.

أمام كل هذا الترف، والسرير الضخم بأعمدته الأربعة، تقدمت وأغلقت باب غرفة النوم وقد تصاعدت الدماء إلى وجهها، ووضع جيثرو بعض المال في يد الغلام قائلاً: «لقد تأخر الوقت وعلينا أن نتحدث في أمور كثيرة. لذا أمرت بإرسال الطعام إلى هنا».

خلع سترته، ونزع ربطة عنقه، فضاقت عيناها وهي تنظر إليه. قال يطمئنها: «يمكنني أن أدفع الحساب، فأنا لا أريد أن تمضي الشهرين التاليين من حياتك في غسل الصحون».

التصق قماش قميصه القطني الأبيض الغالي الثمن بجسمه، حتى تراءى لها ظل شعر صدره. كيف يمكن أن يبدو هذا الإنسان الانتهازي جذاباً إلى هذا الحد؟

وإذ تذكرت سبب وجودها هنا معه، قالت بنفاد صبر: «قلما يهمني كيف تنفق النقود التي كسبتها مني، لأن هذا الترف كله لا يؤثر فيّ. ما أريده هو الحقيقة ولا شيء سواها. لماذا كذبت عليّ حين أنكرت حبك لأخت صديقك؟ لماذا غيرت اسمها (كول)؟ لماذا تلبس في إصبعها خاتم زواج؟ ولماذا كنتما تتعانقان أثناء الغداء؟».

ثم تابعت تقول: «البيت في حي «مايفير»... السيارة الخيالية التي تحتفظ بها، لتؤثر في الزائرين. والسكرتير الخاص...».

كانت تسير في أنحاء الغرفة من دون وعي منها فأمسكها بكتفيها وأدارها بلطف لتواجهه.

ـ لماذا لا تجلسين يا حبيبتي؟ إذا أصغيت إليّ يمكنني أن أشرح لك كل شيء.

وأخذت أصابعه تمسدان كتفيها العاريتين بخفة، فترنح جسدها مائلاً نحوه.

ووجدت في الجلوس منقذاً لها. تلمست حافة الكرسي خلفها ثم جلست عليه وأغمضت عينيها، شاعرة بالإرهاق يغمرها بأمواج سوداء. وعندما أرغمت نفسها على فتح عينيها، كان يمسك بيده قطعة ورق.

- هل تعرفين هذه؟

كان يحمل الشيك الذي أعطته إياه بعد الزواج، وأخذت تراقبه وهو يمزقه ببطء، وأصابعها ترتفع إلى صدغيها

- لا أفهم!

- طبعاً لا تفهمين. وكيف يمكنك ذلك؟ لكنك سوف تفهمين، أعدك بذلك!

لم تكن وعوده تستحق التلفظ بها. وهي ليست مستعدة للجلوس والاستماع إلى ما يريد أن يقوله لها.

قفزت واقفة، وأخذت تتفحص أنحاء الغرفة بحثاً عن حقيبة يدها: «سأخرج من هنا. استدع سيارة أجرة، أو أفعل هذا بنفسي. لا أريد البقاء هنا، وأنا لا أعرفك».

وكان أسرع منها، وأمسك بها قبل أن تصل إلى الباب مثبتاً ذراعيها على جنبيها، ناظراً إليها بحزم: «بل تعرفين كل شيء عني»

ورأى الذعر في عينيها قبل أن تغرورقا بالدموع. كانت شفتاها ترتجفان، وصبرها قد نفد تماماً.

قال وهو يأخذ نفساً عميقاً: «عودي بذاكرتك إلى الوراء، يا آلي... أخبرتك في البيت الصيفي كل شيء عن صاحبه. كل ما قلته لك صحيح، ما عدا هويته. لقد أخطأت في اسمه الأول وعندما سألتني عن شهرته أعطيتك اسم مساعدي الشخصي لأنني أدركت أنني

لن أنساه. كنت أحدثك عن نفسي، يا حبيبتي. أما كلو فهي أختي، وأنا أحبها كثيراً فقد اجتزنا معاً أوقاتاً صعبة».

لم يكد يجرؤ على التنفس وهو يحيطها بذراعيه... أحس وكأنه يمسك بقنبلة موقوتة يمكن أن تنفجر في أي لحظة. لم تكن تكافح على الأقل للتملص منه، طالبة الخروج من هنا. لكنها بدت مضطربة.

شعر برجفة ضئيلة في جسدها، وبدأ التوتر يتبدد في عضلاتها ولكن في تلك اللحظة طرق شخص ما الباب. التفت وهو يشتم بصوت خافت، فرأى النادل في معطفه الأبيض يجر عربة الطعام، فقال بحدة: «ليس الآن، يا مايك. ألق هذا في القمامة، ثم أحضر غيره بعد قليل. والأفضل أن تتصل هاتفياً قبل ذلك!».

- لم تكن مهذباً معه.

قالت آلي ذلك بجفاء، بعد أن أغلق الباب خلف العربة. ما الذي كانت تفكر فيه وهي تسمح له بالإمساك بها بينما تعلم جيداً كيف يجعلها الاقتراب منه تنسى كل شيء؟

- شعرت بذلك. وبما أنني من المساهمين في هذه المؤسسة، يحق لي، مرة في الحياة، بأن أكون فظاً مع المستخدمين، لكنني سأعتذر فيما بعد. هل يعجبك هذا؟

وابتسم لها، فرأى التوتر على وجهها قبل أن تدير ظهرها إليه، فقال بتثاقل: «كل شيء قلته لك هو الحقيقة، يا آلي».

صرت أسنانها لتمنع نفسها من الصراخ. هل يعرف ما هي الحقيقة؟ أيمكنها أن تصدق كل ما يقول لها؟ وهل يمكنها، بعد ذلك، أن تثق به؟

أرجوك، يا إلهي! لا تدعه يبتسم لي مرة أخرى، لا تدعه يلمسني، لأنني سأنهار إن فعل ذلك.

كانت تتضرع إلى الله بكل عواطفها. لكن ذلك لم ينفعها، لأن جيثرو تقدم منها ووقف وراءها وانسلت أصابعه في شعرها، لتزيح مشابكه وتتركه منسدلاً على ظهرها.

ـ حاولي أن تسترخي.

قال ذلك وأخذ يمتد كتفيها، ورقبتها.. أما آلي، التي غدر بها سحر لمسانه، فشعرت بجسدها يتفتح له.

كبح آهة كادت تفلت منه، ثم حملها بين ذراعيه، فتعلقت به، وهي تشهق بتعاسة، وسار بها إلى غرفة النوم فمدّدها على السرير بعد أن أبعد ذراعيها عن رقبته.

أراد أن يتمدد بقربها ليضمها إليه، ولكنه خلع حذاءها وركع بجانبها، ممسكاً بيديها إلى أن خفت شهقاتها، ثم تناول منديلاً ورقياً من جانب السرير وناولها إياه.

نادراً ما كانت تبكي. لا بد أن مظهرها أصبح مريعاً، فعيناها منتفختان حمراوان وأنفها متورّم. ثم قالت تتحداه بلهجة متسلطة:

ـ إن كنت بهذا الثراء، وتملك منازل في كل مكان ولك أسهم في فندق ورولز رويس، والله يعلم ماذا بعد، لماذا كنت تنظف النوافذ وتقود سيارة محطمة؟ لماذا وافقت على الزواج بي حين ذكرت لك أنني سأعطيك أجراً؟

ـ ولا تنسي السيارة الجاغوار والطائرة الخاصة، والشركات في كل أنحاء العالم.

قال ذلك وهو يضحك في وجهها من دون خجل. بدت له

صغيرة ورقيقة. نهض واقفاً وجلس على الفراش بجانبها، واضعاً ذراعه عليها.

مضت لحظة ظن فيها أنها ستتملص منه مبتعدة، لكنها لم تفعل. بدت وكأنها لا تكاد تتنفس، وقد اتسعت عيناها. فغامت عيناه وهو يعترف قائلاً: «لقد أخفيت عنك شخصيتي الحقيقية لأنني وغد وأناني، لم أفكر إلا بنفسي. أردت منك أن تحبيني لشخصي وليس لرصيدي في المصرف. لقد عرفت نساءً كثيرات تهافتن عليّ لأجل مالي. منذ عام تقريباً رأيتك للمرة الأولى في حفل عرض أزياء فوقعت في شباكك، ولم أستطع أن أمحوك من ذهني. ولكني لم أستطع القيام بشيء في هذا السبيل لأنني أمضيت بعد ذلك عاماً بكامله، أجول في أنحاء العالم. ولكن يوم رأيتك عند أسفل السلّم ذلك النهار، تشكريني لأنني ساعدت أمك، قفز قلبي فرحاً وعجز لساني عن الكلام. كنت يومها أساعد هاري في عمله، فقد كان مصاباً بالأنفلونزا، ومربيتي بريغس..».

ـ هل تلك هي المربية بريغس؟

سألته بسرعة، وقد بدأت الأمور تنجلي. كم شعرت بالأسف حيال الطفل الصغير الذي حرم من حب والديه، وتذكرت كيف طمأنها جيثرو إلى أن المربية بريغس أغدقت عليه حنان الأمومة.

ـ ظننتها جدتك.

ـ أعلم هذا، وقد تركتك تظنين ذلك كما تركتك تظنين أنني أكسب عيشي من تنظيف النوافذ. وعندما شرحت لي حاجتك إلى الزواج، وعرضت عليّ أجراً لذلك، تمسكت بهذه الفرصة، وأخذتك إلى المنزل الذي أمضي فيه إجازاتي، وطلبت من خدمي أن يرحلوا

لفترة، ثم حاولت جاهداً أن أجعلك تحبينني، لأنني كنت أعلم أنك المرأة الوحيدة التي سأحبها في حياتي في مناسبات عدة أوشكت أن أفسد الأمور، لأنني كنت متلهفاً إليك ولم أكف، للحظة واحدة، عن التفكير بردة فعلك عندما تعرفين الحقيقة وتظنين أنني خدعتك وضللتك.

رفع ذراعه عنها وأضاف: «أنت حرة في الذهاب إن شئت».

واستطرد بصوت منخفض: «إنني أعلم أن الممتلكات المادية لا تعني لك شيئاً. أعلم أنك أحببتني حين أدركت أنني لا أملك سوى ملابس رثة وسيارة «الڤان» المتداعية، وأنا سأنفهم إذا كرهت رجلاً كذب عليك، مهما كانت نيته حسنة في ذلك. سأتفهم وأحاول أن أواجه الأمر».

نظر إلى أهدابها الكثيفة وهي تنسدل لتخفي عينيها. كانت مستلقية بجمود تام... أتراها تعيد النظر بما قاله لها، وتقرر أنها لا يمكن أن تحب رجلاً كاذباً؟

شعر ببرودة تتملكه، وغمر الثلج قلبه... كيف يمكنه أن يحتمل ابتعادها عنه؟ كيف يمكنه أن يعيش مع الندم، وخسارة حبها؟

وإذا بها ترفع يدها تلمس شعره، وقد بدت الدموع في عينيها، ثم اهتز صوتها قليلاً وهي تقول: «لطالما شعرت برباط غريب يربطني بصديقك الثريّ الوهمي ذاك، حين أخبرتني عن حياته المبكرة، وعن عدم ثقته بالآخرين وبالنساء خاصة، لأنهنّ يرغبن فيه لأجل أمواله فحسب. وها قد اكتشفت أنك كنت تتحدث عن نفسك، وبإمكاني أن أفهم ذلك بشكل أفضل، لأنني أحبك إلى حد أنك أصبحت جزءاً مني».

- يا حبيبتي

كان صوته مفعماً بالعواطف وهو يمسك بيدها ويقبل كل إصبع فيها

- أنا لا أستحقك لكنني سأبذل كل جهدي لأنال ثقتك!

جذبت يديه إليها وأراحتهما على صدرها، وهي تهمس بمكر

- إبدأ بالمحاولة الآن على الفور، وسأجعلك تعلم مدى نجاحك في ذلك

بدأت النيران تستعر في عروقها وأصابعه تداعب وجهها بحنان. في تلك اللحظة رن جرس الهاتف، فاحمر وجهه وهو يمد يده إلى السماعة، وضحكت آلي ووضعت يدها على يده قائلة: «لا تنسى أن التهذيب لا يكلف شيئاً، فأنت من طلب منه أن يتصل هاتفياً أولاً، أليس كذلك؟»

طبع قبلة على خدها قبل أن يرفع السماعة ويقول: «ألني الطلب، يا مايك. أنا وزوجتي لدينا كل ما نريده».

ثم عاد ينهي ما ابتدأ به.

* * *

بعد ذلك بساعات، أخذت آلي تتمطى، وهي تتلمس وجه جيثرو النائم قربها. حرك رأسه على الوسادة، واشتدت ذراعه التي كان يطوّقها بها حولها.

- أكاد أموت جوعاً، لم آكل شيئاً منذ الفطور. كما لم أستطع أن أتناول غدائي بعد أن رأيتك مع كلو. إنك لم تخبرني بأنها متزوجة.

نهض جالساً، مستنداً إلى الوسائد، ثم أنار المصباح بجانبه فبدا السرير ككهف وردي، ونظر إلى ساعته قائلاً: «أتثرثرين دوماً عند

الثالثة صباحاً؟».

- ربما.

رماها بتلك الابتسامة البطيئة التي كانت دوماً تجعل خفقات قلبها تتسارع.

- كلو ليست متزوجة، ولكن بإمكاني أن أفهم سبب ظنك هذا. عندما رفعت يدها لتريني الخاتم، لم أر سوى حلقة ذهبية، فهو واسع على إصبعها.

عاد ذلك الشعور الهائل بالألم الذي تملكها حين رأت جيثرو وكلو معاً يسيطر عليها في تلك اللحظة. رفعت ركبتيها إلى ذقنها وألقت عليه نظرة جانبية قاتلة: «كان بإمكاني أن أقابل أختك، وأتغدى معكما. لم يكن من داعٍ لتتركني كما فعلت».

فتنهد قائلاً: «أعرف، ولكنني إنسان عنيد. فعندما شارف شهر عسلنا على الانتهاء، كان عليّ أن أخبرك الحقيقة كاملة. فقررت أن أخبرك في آخر يوم لنا في البيت الصيفي. لكن أنانيتي جعلتني أرغب بالاستمتاع بحبك لي لأجل شخصي وليس لأموالي. لكن، وفي الليلة الماضية، اتصلت كلو هاتفياً إذ تعرفت حديثاً إلى مهندس «الديكور»، «غاي فيلو» وأحبا بعضهما بعضاً ويريدان الزواج. وعندما أخبرتني بذلك، قلقت حيال ماضيها السيء، فأخبرتها بأنني أفضل أن أجتمع به أولاً. ولهذا السبب أسرعت بالعودة إلى لندن، مصمماً على إنهاء مسألة كلو وخطيبها لأتفرغ لك بكليتي، فأحضرك إلى هنا، وأخبرك بكل شيء. ستتعرفين إلى كلو في الوقت المناسب.

- أتمنى ذلك، وربما إلى المربية بريغس.

- إذن، فقد صفحت عني؟

فابتسمت له مازحة «حسناً لو لم أكن جائعة لصفحت عنك».

وبرهاناً على ذلك، أخذت معدتها تقرقع نهض جيثرو من السرير قائلاً: «سأرى ما يمكنني أن أفعله».

فقالت: «قد تجد شيئاً في البراد».

لكنه ارتدى معطف حمام وهو يجيبها قائلاً: «يمكنني أن أفعل أفضل من ذلك، فأنا أعرف أين يحتفظون بالمفاتيح. ابقي كما أنت وسأعود حالاً».

نهضت من سريرها ثم دخلت الحمام، حيث أخذت تدهن جلدها بزيت مطرٍ للبشرة تفوح منه رائحة الأزهار والورود. كانت سعيدة إلى حد لا يوصف. ما الذي جعلها تفقد ثقتها به؟ ألم تكن تعلم دوماً أنه، على خلاف مظهره، لديه طاقات كامنة هائلة وبإمكانه أن ينجز الكثير؟ كم تعب في حياته ليصل إلى هذا الثراء.

بعد مرور عشر دقائق، كانا جالسين إلى مائدة صغيرة مستديرة يأكلان السلمون المدخن والبيض المسلوق، ويرشفان العصير. قالت آلي: «لا أظنك بحاجة إلى جمع المزيد من المال، أليس كذلك؟ أم أنك مدمن على العمل؟»

فابتسم لها: «كنت كذلك قبل أن ألتقي بك. لقد قررت أن أبيع معظم أملاكي، وأعين مساعدين لي لإدارة ما تبقى منها، أما المنزل الصيفي فسيكون مكاناً مثالياً لتربية أولادنا. وأحب أن أركز اهتمامي على الاعتناء بالطبيعة. سنحتفظ ببيتنا في حي «مايفير» لكي ننزل فيه عندما نأتي إلى لندن، لنعرّف الأولاد على معالمها. البرج، محكمة هامبتون، وكل تلك المشاهد»

وصحك «إن بعت أملاكي كلها، أصبحنا أثرياء بشكل يدعو إلى الاشمئزاز، لكنني أظن أن بإمكاننا أن نواجه ذلك ما رأيك؟»

- رأيي أن بإمكاننا أن نواجه أي شيء ما دمنا نحب بعضنا البعض.

قالت ذلك والإخلاص بادٍ في عينيها

نهض وأمسك بيدها داعياً إيّاها للوقوف بجانبه، ثم سألها برقة.

- أتظنين أن بإمكانك أن تعتادي على حلقة عريضة من الذهب وخاتم يزهو بماسة كبيرة، بدلاً من هذا الخاتم النحاسي التافه؟ كم كرهت نفسي حين وضعته في إصبعك بينما كنت أريد أن أغطيك بالمجوهرات.

فقالت باسمة وهي تمسك بالخاتم المصنوع من المعدن الرخيص: «سمّني عاطفية، لكنني لا أستبدل خاتم زواجي بكل ذهب العالم، وفي مطلق الأحوال...».

وابتسمت له بعينين دامعتين: «لا بأس إن علقت فيه ماسة تنسجم معه، إذا كان هذا يسعدك».

ابتلع جيثرو غصة نتجت عن سعادته الكبيرة، وقال لها بصوت يفيض بالمشاعر: «لن أتوقف عن حبك أبداً. حبي لك يزداد مع كل نفس أتنفسه، والآن..».

وفك حزام معطفها: «أظن أنه حان دوري لأشبع جوعي».

* * *